ليلى مبروك

ظلال الرحمة
في يوم الفزع الأعظم



للنشر والتوزيع والتصدير
١٦ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت ٥٩١١٣٧١ - فاكس ٥٩١١٣٧١ - ص.ب ١٧٠٧ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نَبِّىءْ عِبادِي أَنّي أنا الغفُور الرّحيمُ،
وأَنّ عذابي هُوَ العذابُ الأليم ﴾ (١)

(١) الحجر - ٤٩ : ٥٠

﴿أم حَسِبَ الذين اجْتَرَحُواْ السيئات أن نَجْعَلَهُمْ كالذين آمنوا وعَمِلُواْ الصالحات سواءً مَحْيَاهُمْ ومَمَاتُهُمْ ساء مايحكمون، وخلق اللهُ السموات والأرضَ بالحق ولِتُجْزَى كلّ نفس بما كَسَبَتْ وهم لايُظْلَمُون﴾(١)

(١) الجاثية ـ ٢١ ـ ٢٢

اجترحوا السيئات : اكتسبوا المعاصي والكفر

مفهوم اليوم بمقاييس العالم الآخر

(تَعْرُجُ الملائكةُ والرُوحُ إليه في يومٍ كان مقْدَارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ)(١)

خلق لله الزمن.. أخضعه لمشيئته.. يستطيع الخبير الكبير جل جلاله أن يخلق يوما مقداره خمسين ألف سنة.. كما يستطيع أن يخلق يوما آخر مقداره ألف سنة (يُدَبِّرُ الأمرَ من السماءِ إلى الأرض ثم يَعْرُجُ إليه في يومٍ كان مقدارُهُ ألفَ سَنَةٍ مما تَعُدّونَ) (٢).. ليس هناك تناقض بين آيات الله الكريمة.. ليس هناك مايُعْجِزُ قدرة الله التي لاتحدها حدود.

اليوم جزء من الزمن.. ويوم الآخرة تختلف مقاييسه تماما عن يوم الدنيا.. بل إن مقاييس العالم الآخر بصفة عامة تختلف كليةً عن مقاييسنا الدنيوية.

يوم الدنيا محدد بشروق الشمس وغروبها.. وبالرغم من هذا فهو مقياس نسبي فقد يختلف اليوم في أماكن أو كواكب متعددة.. حيث تشرق الشمس لبضعة أيام أو شهور.. أو تغرب ولا تظهر إلا بعد أيام وشهور.

الكون في حركة دائبة: تسير الشمس في الفضاء وتسير معها كواكبها.

الكون في حالة دوران مستمر: تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس.. ويدور القمر بشكل أسرع حول الأرض.. وتدور الشمس حول نفسها (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) (٣).. (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)(٤).. هكذا يتحدد الزمن: الليل والنهار.. الأيام والأسابيع.. الشهور والأعوام.. القرون والأحقاب.

ويختلف الزمن من كوكب إلى آخر تبعا لقوة الجاذبية وسرعة الدوران بل ويختلف أيضا من مجموعة شمسية إلى أخرى.

وقد يظل اليوم كما هو محدد بشروق الشمس وغروبها.. محدد بأربع وعشرين ساعة كما هو الحال في كوكبنا الأرضي.. وبالرغم من ذلك يستطيع المقتدر جل جلاله أن يجعل مقداره كمقدار تسع ساعات فقط أو عام أو حتى ألف عام أو أكثر أو أقل. ولنتأمل مارواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالساعة، وتكون الساعة كإحراق السعفة).

---

(١) المعارج ـ٤

(٢) السجدة ـ ٥ . يعرج إليه: يصعد الأمر ويرتفع إليه بعد تدبيره.

(٣) يس ـ ٣٨

(٤) إبراهيم ـ ٣٣. دائبين : يسيران لايفتران ليلا ولا نهارا، دائمين في منافعهما لكم.

أيا كانت أسباب الدنيا لأى شيء فى الوجود فالسبب الأساسى هو طلاقة قدرة المهيمن الجبار.

يستطيع رب العزة أن يطوّع يوم الدنيا التى تتقيد بالأسباب كيفما يشاء بتطويع تلك الأسباب أو إلغائها نهائياً.. فما بال يوم الآخرة التى تتحرر أصلا من الأسباب!.

يوم الآخرة جزء من الزمن يكفى لأحداث معينة.. يطوعه الله كيفما يشاء.. والقيامة يوم من أيام الآخرة تنطبق عليه مقاييس العالم الآخر التى لانستطيع إدراكها الآن إلا إذا ما شُبِّهَت لنا بمقاييسنا الدنيوية.. فهو يوم غير محدد بليل أو نهار.. بل محدد بأحداث معينة تقع فيه لا يعلمها إلا الله.. ولا يحدد مقدار هذا اليوم سوى الله.. إنه يوم يفرغ فيه الأحد الصمد(١) لحساب العباد.. لن يخلد سبحانه وتعالى للراحة أبدا لأنه ليس بحاجة إليها على الإطلاق.. ولن يؤجل الحساب إلى يوم آخر.. بل تتوالى الأحداث فى يوم واحد.. يوم يبدأ منذ قيام الساعة.. وحتى استقرار العباد إما فى الجنة أو فى النار.

قد يكون مقدار يوم القيامة خمسين ألف سنة بالمقاييس التى نعرفها فى الدنيا لكنه يخفف على المؤمن حتى يصير أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا.. وقد يكون مقدار نفس اليوم ألف سنة على كافر قلّت معاصيه نسبيا أو يكون مائة عام على مؤمن عاصى.. أو أكثر أو أقل تبعا لعمل العباد.

جاء من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة"، فقلت: ما أطول هذا؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: " والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا" (٢).

وعن أبى هريرة قال: " يوم القيامة على المؤمن كقدر مابين الظهر والعصر"(٣).

(ويستعجلُونَكَ بالعذابِ ولن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وإنّ يوماً عندَ ربكَ كألفِ سنةٍ مما تَعُدّونَ(٤).

---

(١) الأحد الصمد: من أسماء الله الحسنى.

(٢) ذكره قاسم بن أبى أصبغ.

(٣) أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ثنا الحسن بن محمد بن حكيم ثنا ابو الموجه ثنا عبدان ثنا عبدالله هو ابن المبارك عن معمر عن قتادة عن زرادة بن اوفى عن أبى هريرة قال(الحديث) قال هذا هو المحفوظ وقد روى مرفوعا أخبرنا ابو عبدالله الحافظ حدثنى عبدالله بن عمر بن على الجوهرى بمرور حدثنا يحيى بن شاس به بن عبدالكريم ثنا سويد بن نصر ثنا بن المبارك فذكره باسناده مرفوعا.

(٤) الحج ـ ٤٧

الشفاعة العامة والمقام المحمود

(وكم من مَلَكٍ في السماوات لاتُغْنى شفاعَتُهُمْ شيئاً إلا من بعد أنْ يأْذَنَ اللهُ لمنْ يشاءَ ويرضى)(١).

لما اشتد كرب العباد وأخذوا يتوسلون إلى كل نبى أن يشفع لهم عند ربه حتى انتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقَبِلَ الشفاعة لهم أجمعين عند رب العالمين.. حينئذ ينطلق محمد عليه الصلاة والسلام.. يأتى تحت العرش.. يستأذن ربه ويخر ساجداً.. يحمده ويثنى عليه حتى يقول له سبحانه وتعالى: إرفع رأسك يامحمد.. وقل يُسمع لك.. سل تُعطى.. واشفع تشفع.

(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا)(٢).

ويشفع محمد... يشفع لتعجيل الحساب والفصل بين العباد.. كل العباد منذ عهد آدم وحتى قيام الساعة.. بل ماقبل عهد آدم.. إذ خُلقت مخلوقات أخرى غير بنى آدم.. يشفع محمد لهم جميعا لينقذهم من هول الموقف.. ليريحهم من عذاب الانتظار وكرب يوم الحساب.. ليستقر بهم الحال سواء فى الجنة أو فى النار.

فى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها تقول يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود".

حقا.. لقد صدق الله العظيم حين قال فى كتابه الكريم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٣).

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (عسى أن يبعثك ربُك مَقاما محموداً) :سئل عنها قال : " هى الشفاعة" (٤).

هناك شفاعات أخرى يوم القيامة.. يشفع الملائكة والأنبياء.. يشفع الشهداء والعلماء.. وكذلك المؤمنون .. كل يشفع بقدر أعماله.. ولكن اختص محمد عليه الصلاة والسلام وحده دون سائر خلق الله أجمعين بالشفاعة الأولى العظمى.. الشفاعة العامة لكل الأمم.

ولنتفكر فى قوله عز وجل: " ومن الليلِ فَتَهَجَّدْ به نافلةً لك عسى أن يَبْعَثَكَ ربّك مَقامًا محموداً) (٥).

روى الإمام أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة كنت إمام

---

(١) النجم ـ ٢٦ . (٢) طه ـ ١٠٩. (٣) الأنبياء ١٠٧ .. (٤) قال: هذا حديث صحيح.

(٥) الاسراء ـ ١٧٩، فتهجد: التهجد: الصلاة ليلا بعد الاستيقاظ فى منتصف الليل من أجل الصلاة، نافلة لك: فريضة زائدة لك. مقاما محمودا، مقام الشفاعة العظمى: مقاما يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى.

الأنبياء، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر" (١).

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع".

وروى الإمام أحمد من حديث على بن الحكم، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة" فقال رجل من الأنصار: وماذلك المقام المحمود؟ قال: " ذلك إذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول اكسوا خليلى.. فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش. ثم أوتى بكسوتى فألبسهما فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد فيغبطنى به الأولون والآخرون قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض".

روى الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه لم يكن نبى إلا له دعوة قد تنجزها فى الدنيا، وإنى أخبأت دعوتى شفاعة لأمتى. وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائى ولا فخر.." (٢).

كما أكد الأئمة البخارى ومسلم وغيرهما أن هذه الشفاعة العامة التى اختص بها محمد عليه الصلاة والسلام من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه السلام:

لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى".

يطلب الناس تلك الشفاعة بإلهام من الله تعالى حتى يظهر مقام نبيه المحمود الذى وعده به فى ذلك اليوم العظيم.

بعد شفاعة "محمد عليه الصلاة والسلام لكافة الأمم.. يبدى اهتماما فائقا بأمته.. يبدى محبة وشفقة واضحة جلية حيث يقول: " يارب أمتى أمتى" فيقال: (يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه).. ثم يقال لكل نبى أن يدخل الجنة من لا حساب عليه من أمته.. وبعد ذلك يحاسب من عليه حساب من أمة محمد ثم من سائر الأمم.

لقد ورد بالقرآن العظيم دعوة .. بل دعوات مستجابة لكل نبى من أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام.. لكننا بصدد الحديث عن دعوة النبى الخاصة بأمته.. فما هى تلك الدعوة؟.

دعوة نوح:

(وقال نوحٌ ربِ لا تذَر على الأرضِ من الكافرين ديّاراً، إنك إن تذرهم يُضلُّوا عبادَكَ ولا

---

(١) قال أحمد ثنا أبو عامر الأذرى ثنا زهير بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن ابى كعب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث). ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل. وقال الترمذى: حسن صحيح. السيد : الذى يفرع إليه الناس يوم القيامة لتفريج كربهم وكشف همتهم وخص يوم القيامة لأنه اليوم الذى يرتفع فيه سؤدده ويسلم له الجميع بذلك. وإذا كان محمد سيد الناس يوم القيامة فهو فى الدنيا كذلك.

(٢) قال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد بن مسلم عن على بن زيد عن أبى نضرة المنذرين مالك بن قطعة قال خطبنا بن عباس على منبر البصرة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث).

اخبأت دعوتى: كذا فى الأصل وفى المسند اختبأت.

يلدوا إلا فاجرا كفارا، رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا(١).

بعث نوح عليه السلام فى فجر البشرية.. واجه كثيرا من الإعراض والإصرار.. العناد والتكبر تحلى بالصبر والجلد.. لم يفتر ولم يمل.. لم ييأس طوال تسعمائة وخمسين عاما قضاها فى جهاد دائم مستمر.. فى كفاح مرير مع الكفرة الفجرة.. لكن وجودهم فى حد ذاته يؤثر على المؤمنين بما يفرضون من نظم وتقاليد ضالة باطلة لها أشد الأثر على المجتمع بأكمله.. وجودهم يجمد الدعوة إلى الله تماما.. يحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين.. إلى قلوب الصغار الذين ينشأون ويولدون فى تلك البيئة الفاسدة.. الصغار الذين يمثلون مجتمعا بأسره.. بل يمثلون عالم المستقبل فى ذلك الحين.. فى فجر البشرية.. أصبح تواجد هؤلاء الكفار على الأرض مشكلة لا حل لها.. بل كارثة لا خلاص منها.. وباء متفشى لا علاج له.. لم يعد هناك حل سوى الإبادة.. الإبادة النهائية لأولئك المفسدين.. هذا هو العلاج الوحيد للبشرية فى ذاك الحين.. فكانت دعوة نوح على قومه.. بل دعوته لقومه.. وكانت استجابة الحق تبارك وتعالى التى سحقت وجودهم بأسره.. غسلت الأرض من دنس فجورهم.. وطهرت البشرية من الفساد.. أنقذتها من الضياع.. كان الطوفان.

(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) (٢).

دعوة إبراهيم :

- وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير..

- وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

- ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

- ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم).

تلك بعض دعوات ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما وردت فى سورة البقرة.
آية ١٢٦ : ١٢٩ وقد تحققت بأكملها.

---

(١) نوح - ٢٦ - ٢٨.

ديارا: من يسكن دارا.. أو يدور ويتحرك فى الأرض.

تبارا: هلاكا ودمارا

(٢) العنكبوت - ١٤ : ١٥.

ـ تحققت دعوة إبراهيم.. إذ جعل الله مكة بلدا آمنا ورزق أهلها رزقا وفيرا حيث تعيش فى أمن وسلام.. لن يهراق فيها دم ولن يشن فيها قتال.. تعيش فى خير ورزق وفير.. تعيش فى رغد من العيش.

روى البخارى عن عبدالله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم:"إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل مادعا إبراهيم لمكة".

وروى مسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإنى حرمت المدينة حراما مابين مأزميها لايهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا فى مدينتنا، اللهم بارك لنا فى صاعنا، اللهم بارك لنا فى مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين".

ـ واستجاب الله تعالى لدعوة إبراهيم حين أتاه جبريل وعلمه مناسك الحج وأسلمت أمته .. تعلمت كيف تؤدى فريضة الحج.. ودارت عجلة الزمن.. توالت القرون.. ازداد عدد المسلمين فى شتى بقاع الأرض.. ومازالوا يأتون مكة كل عام من مختلف أنحاء العالم لتأدية مناسك الحج.

ـ وتحققت دعوة إبراهيم أبو الأنبياء التى وافقت قدر الله السابق بعد قرون عديدة إذ بعث الله رسولا من ذرية إبراهيم .. من ذرية إسماعيل عليهما السلام.. بعث رسولا من أهل مكة.. رسولا منهم وإليهم.. بل وإلى الإنس والجن أجمعين.. بعث محمدا عليه الصلاة والسلام.

كان إبراهيم أول من نوه بذكر محمد عليهما الصلاة والسلام وشهره بين الناس.. وتوالت الأجيال تنتظر ظهور خاتم الأنبياء من عرب مكة.. من ذرية إسماعيل بن إبراهيم.. حتى صرح باسمه عيسى ابن مريم عليه السلام وهو خاتم أنبياء بنى إسرائيل إذ خطب فيهم قائلا:

(إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد..) (١).

عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله ماكان أول بدء أمرك؟

قال: دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى بى، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام"(٢).

---

(١) الصف ـ جزء من آية ٦.

(٢) قال الإمام أحمد أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا إمامة قال قلت يارسول الله ماكان أول بدء أمرك؟ (الحديث).

رأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام: قيل كان مناما وأنه حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم وكان تخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولذا تصير الشام معقلا للإسلام وأهله فى آخر الزمان وبها ينزل عيسى بان مريم.

قال تعالى فى سورة الأعراف ـ ١٥٤ : ١٥٩.

(ولما سكت (١) عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون، واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة (٢) قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك (٣) تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك (٤).

قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم(٥) والأغلال (٦) التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه (٧) ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون.

قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون، ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)(٨).

ولنقارن معا أخى القارىء بين دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التى وردت بسورة البقرة ـ آية ١٢٩ التى ذكرناها مسبقا وبين الآية الكريمة رقم ١٥١ من سورة البقرة أيضا:

---

(١) سكت : سكن.

(٢) أخذتهم الرجفة : الزلزلة الشديدة أو الصاعقة.

(٣) فتنتك: محنتك وابتلاؤك.

(٤) هدنا إليك: تبنا ورجعنا إليك.

(٥) إصرهم: عهدهم بالعمل بما فى التوراة.

(٦) الأغلال: التكاليف الشاقة فى التوراة.

(٧) عزروه: وقروه وعظموه.

(٨) به يعدلون: بالحق يحكمون فى الخصومات بينهم.

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون)..

هناك دعوات أخرى مستجابة لخليل الله.. إبراهيم عليه السلام.. نذكر منها ماورد بسورة إبراهيم - آية ٣٧:

(ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم (١) وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون).

دعوة موسى:

هناك موقف لبنى إسرائيل ،، أدى إلى دعوة دعاها موسى عليه السلام.. وقد استجاب لها الله سبحانه وتعالى.. فلنتتبع معا صديقى القارىء تلك الأحداث فى سورة المائدة ٢٠ - ٢٥.

(وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحد من العالمين، ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين.

قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون.

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.

قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.

قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق (٢) بيننا وبين القوم الفاسقين.

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض (٣) فلا تأس (٤) على القوم الفاسقين).

وكانت لموسى دعوة فى فرعون وملئه.. وقد تحققت بأمر الله.. تقصها علينا سورة يونس ٨٨ - ٩٠.(وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم (٥) واشدد على قلوبهم (٦) فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون.

---

(١) تهوى إليهم : تسرع إليهم شوقا وودا.

(٢) فافرق: فافصل بحكمك.

(٣) يتيهون فى الأرض: يسيرون فيها متحيرين ضالين.

(٤) فلا تأس: فلا تحزن.

(٥) اطمس على أموالهم: أهلكها واذهبها. أو اتلفها.

(٦) أشدد على قلوبهم : اطبع عليها.

وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا(١) حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين).

وتروى لنا سورة طه فى آياتها ٢٥:٣٦ دعاء موسى عليه السلام لربه عند الوادى المقدس بجوار جبل الطور حين كلفه عز وجل بتبليغ رسالة التوحيد إلى فرعون وملئه.. ماأصعبها رسالة! لقد كان فرعون أعتى وأعظم ملوك الأرض فى زمانه.. أعرقهم حضارة.. أشدهم ظلما وطغيانا.. عاش موسى فى قصره.. شهد ظلمه وجبروته.. شهد جنوده وملأه.. وقتل منهم نفسا.. هرب.. هرب إلى مدين مخافة أن يقتلوه.. بالرغم من كل ذلك.. وبعد مضى عشر سنوات.. يعود إلى مصر لمواجهة ذلك الطاغية الجبار.. احتوت موسى سعادة غامرة لرضى ربه عليه واختياره إياه دون سائر خلقه لتأدية تلك المهمة الصعبة.. لكنه أراد أن يتحصن من فرعون وملئه فكانت دعوته.. وكانت استجابة الله عز وجل.

(قال رب اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، واحلل عقدة من لسانى، يفقهوا قولى، واجعل لى وزيرا (٢) من أهلى، هارون أخى، أشدد به أزرى، وأشركه فى أمرى، كى نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا).

قال قد أوتيت سؤلك(٣) ياموسى)

وتقول سورة القصص ـ ٣٣ : ٣٥.

(قال رب إنى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون، وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا(٤) يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون، قال سنشد عضدك(٥) بأخيك ونجعل لكما سلطانا(٦) فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون).

دعوة عيسى

تقص علينا سورة المائدة ـ ١١١ : ١١٥ قصة المائدة: دعوة عيسى عليه السلام.. واستجابة ربه عز وجل..

(وإذ أوحيت إلى الحواريين(٧) أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون، إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال اتقوا

---

(١) بغيا وعدوا: ظلما واعتداء. (٢) وزيرا: ظهيرا ومعينا.

(٣) أوتيت سؤلك: أعطيت كل طلباتك.

(٤) ردءا: عونا.

(٥) سنشد عضدك: سنقويك ونعينك.

(٦) سلطانا: حجة أو تسلطا وغلبة.

(٧) الحواريين: أنصار عيسى عليه السلام وخواصه.

الله إن كنتم مؤمنين.

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين.

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا(١) لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.

قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين).

دعوة محمد :

هكذا كانت لأنبياء الله دعوات مستجابة فى الدنيا فلماذا ادخر محمد عليه الصلاة والسلام دعوته شفاعة لأمته يوم الحساب؟.

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتى الجنة، فأخذت الشفاعة لأنها أعم وأكفى. أترونها للمتقين؟ لا.. ولكنها للمتلوثين الخطائين)(٢).

قال الله تعالى: فى سورة الضحى ـ ٥ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى).. سوف يعطيك ربك فى الآخرة حتى يرضيك فى أمتك وفيما أعده لك من الكرامة.

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام: (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) (٣). وقول عيسى عليه السلام: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)(٤)، ثم رفع يديه وقال: (اللهم أمتى أمتى) وبكى، فقال الله عز وجل: ياجبريل اذهب إلى محمد فسله مايبكيك، فأتاه جبريل فسأله فأخبره.. والله أعلم به ـ فقال: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك (٥).

روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم: " لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى: أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر لملىء منى رعبا، وأحلت لى الغنائم أكلها وكان من قبلى يعظمون أكلها كانوا يحرقونها، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلى يعظمون ذلك إنما كانوا

---

(١) عيدا: سرورا وفرحا أو يوما نعظمه.

(٢) قال الأمام احمد ثنا معمر بن سليمان الرقى أبو عبد الله ثنا زياد بن خيثمة عن على بن النعمان بن قراد عن رجل عن عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ: (الحديث). قال زياد أما أنها لحن لكن هكذا حدثنا الذى حدثنا. ورواه ابن ابى الدنيا، والبيهقى

(٣) ابراهيم ـ ٣٦ (٤) المائدة ١١٨ (٥) قال مسلم ثنا يونس بن عبدالأعلى الصدفى قال عبدالله بن وهب حدثنا عمرو ابن الحارث ان بكر بن سواده حدثه عن عبدالرحمن بن جرير عن عبدالله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله ﷺ تلا.. (الحديث)

يصلون فى بيعهم وكنائسهم. والخامسة هى ماهى قيل لى سل فإن كل نبى قد سأل فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله" (١).

كيفية الحصول علي الشفاعة :

عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته. حلت له شفاعتى يوم القيامة" (٢).

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة " (٣).

قال تعالى فى سورة الأحزاب ـ ٥٦.

(إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

يصلى الله سبحانه وتعالى على النبى بالثناء عليه عند الملائكة المقربين.. تصلى الملائكة عليه.. يأمر الله أهل الأرض بالصلاة والتسليم عليه.. ويجتمع الثناء عليه.. ثناء أهل العالم العلوى.. وأهل العالم الأرضى.

يصلى الله عز وجل وملائكته على أنبيائه ورسله أجمعين.. وعلى عباده المؤمنين.

(يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) (٤).

إن صلاة الله سبحانه وتعالى هى الرحمة.. أما صلاة الملائكة .. فهى الدعاء والاستغفار.. فما هى صلاة الإنس والجن على الأنبياء؟.

روى البخارى: قيل يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟

قال قولوا " اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد: (٥).

---

(١) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن نصر عن أبى الهاد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث).. إسناد جيد قوى ولم يخرجوه.

(٢) قال البخارى وحدثنا على بن عياش حدثنا شعيب بن أبى حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله (الحديث) .

(٣) روى الامام احمد حدثنا ابو عبدالرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبدالرحمن بن جبير يقول انه سمع عبدالله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " الحديث" وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة. (٤) الاحزاب ـ ٤١ ـ ٤٣ بكرة وأصيلا: أول النهار وآخره.

(٥) قال البخارى حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبى عن مسعر بن الحكم عن ابن ابى ليلى عن كعب بن عجرة قال: (الحديث).

السلام عليك كما ورد فى التشهد: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته.

ويجب على المصلى أن يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير فإن تركه لم تصح صلاته.

ومن صيغ الصلوات المأثورة عن النبى عليه الصلاة والسلام أيضا: " اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد(١).

عن أبى طلحة الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال: إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل يقول: أما يرضيك يامحمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا"(٢).

روى الإمام أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من صلى على صلاة لم تزل الملائكة.. تصلى عليه ماصلى على" (٣) فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر.

وروى الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات"(٤).

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة"(٥).

عن عبدالرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته على فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاوزه"(٦).

يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره عليه الصلاة والسلام. (فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام"(٧).

---

(١) رواه البخارى. (٢) رواه الطبرانى. (٣) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبه عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبدالله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (الحديث). ورواه ابن ماجه من حديث شعبه. به.

(٤) عن أنس وقال الإمام حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن ابى اسحاق عن زيد بن ابى مريم عن انس قال (الحديث).

(٥) رواه الترمذى. (٦) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٧) قال ابو داود حدثنا ابن عوف هو محمد بن المقرى حدثنا حيوة عن أبى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبدالله ابن قسيط عن ابى هريرة (الحديث)تفرد به ابو داود وصححه النووى فى الاذكار.

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام"(١).

روى الإمام أحمد عن أوس بن أوس الثقفى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: " من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على" قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ يعنى وقد بليت، قال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"(٢).

والآن أخى القارىء أسرد عليك قصة رواها السلف عن أثر الصلاة على النبى على الأموات:

ذهبت امرأة إلى الحسن البصرى رضى الله عنه.. وكانت لها إبنة ماتت فى عمر الشباب.. ودت لو تراها فى المنام.. قالت:

جئتك لتعلمنى ما أستعين به على رؤيتها.

علمها.. فرأتها.. رأتها وعليها لباس من قطران.. فى عنقها الغل وفى رجلها القيد.. فأخبرت الحسن بذلك فاغتم.

ومضت فترة من الزمن.. ثم رآها الحسن.. رآها فى الجنة.. على رأسها تاج.. قالت: ياحسن أما تعرفنى ؟ أنا ابنة المرأة التى أتتك كى تعلمها كيف ترانى فى منامها.

قال لها: ما الذى صيرك إلى ما أرى؟!

قالت: مر بنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون إنسانا فى العذاب.. فنودى: ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل.

يالها من رحمة واسعة ! بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فما بال من يصلى عليه سنوات عمره أفلا يجد شفاعته يوم القيامة؟

وعن أثر الصلاة على النبى أيضا قال السلف:

رأى رجل صورة قبيحة فى البادية فقال: من أنت؟

قالت: أنا عملك القبيح.

قال: فما النجاة منك؟

قالت: الصلاة على النبى كما قال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الحديث). وهكذا رواه النسائى من حديث سفيان الثورى وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبدالله بن السائب به.

(٢) قال الإمام احمد حدثنا حسين بن على الجعفى عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن اوس الثقفى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث) ورواه أبو داوود النسائى وابن ماجه من حديث حسين بن على الجعفى وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووى فى الاذكار.

الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما.

كما حكى أن رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام ولم يلتفت إليه فقال: يارسول الله أأنت .علىّ غضبان؟

قال: لا.

قال: فلم لا تنظر إلى.

قال: لأنى لا أعرفك.

قال الرجل: كيف لاتعرفنى وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء أنك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد.

فقال صلى الله عليه وسلم صدقوا ولكنك لا تذكرنى بالصلاة وأن معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم علىّ. ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة.

ففعل ذلك ثم رآه فى المنام إذ قال صلى الله عليه وسلم: أعرفك الآن وأشفع لك.

فقد صار الرجل محبا لرسول الله.

إن مكانة محمد صلى الله عليه وسلم تؤهله للشفاعة والمقام المحمود.. لقد أشهد الله تعالى الأنبياء على رسالته.. فالدين عند الله واحد.. جاءت به كل الرسل.. وقد أخذ الله العهد على كل رسول أن يتبع الرسول الذى يأتى بعده وينصره حتى جاء خاتم المرسلين.. محمد عليه الصلاة والسلام.. محمد الذى صلى بالأنبياء إماما ليلة الإسراء.

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى (١) قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(٢).

الكشف عن الجنة وعن الجحيم

(وأزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين) (٣)

أشرقت الأرض بنور ربها.. خشعت الأصوات للرحمن.. وراح العباد ينتظرون اللحظة الحاسمة... لحظة الحساب.

ساد صمت رهيب.. لم يعد هناك سوى همسات خافتة.. همسات راجفة خاشعة.. مرت لحظات.. ولحظات الآخرة سنوات الدنيا.

---

(١) اصرى : عهدى. (٢) آل عمران ٨١ : ٨٢.

(٣) الشعراء ٩٠ ـ ٩١ أزلفت الجنة : قربت بحيث يرى نعيمها، برزت الجحيم: أظهرت بحيث ترى أهوالها. للغاوين: للضالين عن طريق الحق.

إلهى! ماذا نرى! لقد سمعنا وقرأنا كثيرا.. عشنا لحظات تأمل وخيال.. لكنها فوق أى تصور أو احتمال.. هاهى تقترب.. انها حقا مالاعين رأت.. لا أذن سمعت.. لا ولن تخطر على قلب بشر.

وتقترب الجنة من عباد الله المتقين.. شامخة فاخرة.. تتلألأ نورا وبهاء.. لا.. إنها ليست جميلة فحسب.. بل هى فوق الروعة والجمال.. فوق أى خيال.. فوق الإدراك.

ووقف العباد فى ذهول.. تسمرت عيونهم.. طارت عقولهم.. تعلقت أفئدتهم بأحلى المنى.. حقا إن الجنة أرقى وأسمى شيء فى الوجود.

(وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) (١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"(٢).

أين نار الدنيا من نار الآخرة ؟!

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: " ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك لما جعل الله فيها منفعة لأحد"(٣).

وعن أبى هريرة أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء كالليل المظلم" (٤).

كما قال عمر بن الخطاب: (أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى حين لم يكن يأتى فيه.. فقال: ياجبريل مالى أراك متغير اللون؟

فقال: إنى لم آتك حتى أمر الله بفتح النار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياجبريل صف لى النار وانعت لى جهنم.

فقال: إن الله أمر فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها الف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لايضيء شررها ولايطفيء لهبها.

وقال: والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من السلسلة التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لأذابتها. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: حسبى ياجبريل لايتصدع قلبى.

---

(١) الفجر ـ ٢٣ أنى له الذكرى: من أين له منفعتها ؟ هيهات.

(٢) قال الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خالد الكاهلى عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث). وهكذا رواه الترمذى.

(٣)قال احمد ثنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة (الحديث). على شرط الصحيحين.

(٤) روى الترمذى وابن ماجه كلاهما عن عباس الدودى عن يحيى بن ابى بكير عن شريك عن عاصم عن أبى صالح عن ابى هريرة (الحديث) هذا لفظ ابن ماجه ولفظ الترمذى (سوداء مظلمة).

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إليه يبكى. فقال: ياجبريل تبكى وأنت من الله بالمكان الذى أنت به؟

قال: ومايمنعنى أن أبكى؟ وأنا لا أدرى لعلى أن أكون فى علم الله غير هذه الحال. فقد كان إبليس مع الملائكة، وقد كان هاروت وماروت من الملائكة.

فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يبكى وجبريل حتى نوديا: يامحمد وياجبريل إن الله قد أمنكما أن تعصياه.

فارتفع جبريل وخرج النبى صلى الله عليه وسلم، فمر بقوم من أصحابه يتحدثون ويضحكون، فقال: تضحكون وجهنم من ورائكم! لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا.. ولبكيتم كثيرا.. ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى. فأوحى الله: يامحمد إنى بعثتك مبشرا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشروا وسددوا وقاربوا)(١).

وقال تعالى: (.. وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون،، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كان يكسبون)(٢).

(وإذا الجحيم سعرت، وإذا الجنة أزلفت) (٣).

يسجد لله الكون بأسره حتى الجبال والشجر والدواب.. الجماد والنبات والحيوان.. أما الانسان الذى كرمه الله وفضله على سائر خلقه فلا يسجد منه سوى كثير من الناس وليس كل الناس!

تأتى النار وتكشف عن هولها العظيم: رهيبة مفزعة.. ترتعد وتضطرب.. تشهق وتفور. تزفر إلى الكفرة الأشرار.. تثور غاضبة.. صوتها يدوى فى أنحاء المكان.. هولها أشد وأعظم من أى تصور أو خيال أو إدراك!.

تشخص لها الأبصار.. تذهل العقول.. وترجف القلوب.. يهتز الوجود بأسره .. تزفر الدموع.. دموع الحسرة والندم.. ينادى كفار الإنس والجن : ياويلتاه.. ياحسرتاه.. وامصيبتاه!.

ويردد كل الخلق.. المؤمن والكافر: نفسى.. نفسى.. إلا محمد عليه الصلاة والسلام فيقول أمتى أمتى..

يعلو صوت قوى عظيم.. (وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون)؟ (٤).

---

(١) قال ابن مردوية ثنا وعلج بن احمد ثنا ابراهيم بن عبدالله بن مسلم ثنا الحكم ابن مروان ثنا سلام الطويل عن الاجلح بن عبدالله الكندى عن بن عدى قال: قال عمر بن الخطاب (الحديث).. وقال له الضياء قال الحافظ أبو القاسم يعنى اسماعيل بن محمد بن الفضل هذا حديث حسن واسناده جيد.

(٢) التوبة ـ جزء من آية ٨١ : ٨٢.

(٣) التكوير ـ ١٢ ـ ١٣. الجحيم سعرت: أوقدت وأضرمت للكفار.

(٤) الشعراء ـ ٩٢ :٩٣.

ويسود الصمت.. لايسمع لهم إجابة.. ولا ينتظر منهم إجابة.. إنه مجرد سؤال للتوبيخ والتأنيب.

ويتساقط العباد على الأرض من هول الموقف.. يتساقطون على الركب.. (وترى كل أمة جاثية..)(١).

حساب الطير والحيوان :

(ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون)(٢).

مامن كائن حى خلق على وجه الأرض منذ بداية الخليقة وحتى قيام الساعة إلا ومات ثم دبت فيه الحياة يوم القيامة ثم حشر وانتظم فى أمة ذات خصائص واحدة ووقف للحساب.

مامن دابة تدب على الأرض من حشرات وزواحف ووحوش وحيوانات برية أو بحرية إلا وانتظمت فى أمة.. (وإذا الوحوش حشرت)(٣).. مامن طائر يطير بجناحيه إلا وانتظم فى أمة.. مثلهم تماما كمثل الإنس.. وأيضا الجن.. كل مخلوق ينتمى إلى أمة.. لاينسى الله أحدا حتى النملة.. الذبابة والبعوضة.. إنه سبحانه وتعالى لم ينس أحدا فى الدنيا فكيف ينساه فى الآخرة؟!.

(ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) (٤).

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم)(٥).

ضرورة حساب الإنس :

هل يستوى الإنسان العاقل مع الطير والحيوان فى الحساب والجزاء؟!.

هل يستوى الإنسان الذى حمل الأمانة برغبته وإرادته مع مخلوق سواه؟!

(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)(٦).

هل يستوى خليفة الله فى الأرض مع سائر المخلوقات؟!.

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون) (٧).

---

(١) الجاثية - جزء من آية ٢٨.

٢- الأنعام - ٣٨. مافرطنا : ما أغفلنا وتركنا . ٣- التكوير - ٥.

٤- هود - ٦. يعلم مستقرها : موضع استقرارها فى الأصلاب أو فى الأرحام ونحوها. مستودعها: موضع استيداعها فى الأرحام ونحوها أو فى الأصلاب. (٥) العنكبوت - ٦٠. كأين من دابة: كثير من الدواب.

٦- الأحزاب ٧٢ عرضنا الأمانة: التكاليف من أوامر ونواه، فأبين: امتنعن. أشفقن منها: خفن من الخيانة منها.

(٧) البقرة - ٣٠.

دليل حساب الجن :

هل يستوى الجن مع الطير والحيوان فى الحساب والجزاء؟! الجن الذى عصى ربه وتكبر ورفض السجود للإنس! الجن الذى امتلأ حقدا على الإنس وتحدى الله تعالى: و (قال أرءيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا)(١).

.. (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين، قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين) (٢).

الحساب لكل الخلق.. أما الجزاء فللإنس والجن فقط.

(قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار..) (٣).

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)(٤).

الجن كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر.. والله لايضيع أجر من أحسن عملا.. فالكافر مثواه النار والمؤمن ليس له مثوى سوى الجنة.

(... ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا)(٥).

لم تبعث الرسل للإنس فقط بل بعثت للثقلين: الإنس والجن.. ولذلك حقّ عليها العقاب والثواب معا.

(ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون، يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)(٦).

الله القوى.. القهار الجبار.. الله الذى خلق الوجود بكلمة واحدة: كن فيكون.. الله القادر على سحق أى كيان فى لمح البصر.. يتوعد هذين الخلقين الضعيفين.. ويفرغ لحسابهما بعد فترة إمهال.. إنه أمر فوق أى احتمال أو تصور.. إنه هول مزلزل شديد.

(سنفرغ لكم أية الثقلان)(٧).

---

(١) الإسراء ـ ٦٢ أرءيتك: أخبرنى لأحتنكن ذريته : لأستولين عليهم. أو لاستأصلنهم بالأغواء.
(٢) الأعراف ـ ١٣ : ١٥ . الصاغرين: الأذلاء المهانين. أنظرنى: أخرنى ومهلنى فى الحياة.
(٣)الأعراف ٣٨. (٤) الأعراف ١٧٩ ـ ذرأنا : خلقنا وأوجدنا. (٥) الطلاق ـ جزء من آية ١١.
(٦) الأنعام : ١٢٨ : ١٣٠ استكثرتم من الانس: أكثرتم من دعوتهم للضلال والغواية. النار مثواكم" مأواكم ومستقركم ومقامكم. (٧) الرحمن ـ ٣١

ويبدأ الحساب.. حساب الطير والحيوان.. تحشر تلك المخلوقات.. تشهد على الإنسان.. تسأل.. يتم بينها القصاص.. ثم تصير ترابا.

للحيوان مشاعر:

نحن ننظر للحيوان أو لأى مخلوق آخر دون الإنسان من حيث عالمنا نحن لا من حيث عالمه هو.. لم ندرك يوما أنه يدور فى فلك خاص.. له عالم خاص.. له نظام حياة.. يتحادث ويتفاهم.. يتآلف ويتخاصم.. يفرح ويتألم.. إنه يرى.. يسمع.. يشعر.. يدرك ويشهد لكن من خلال عالمه هو الذى أوجده فيه الخالق البصير.

صدقنى أيها القارىء.. لا أقول لك هراء.. فقد أكد ذلك مارواه رسول الله عليه الصلاة والسلام حين أخذ الجمل الذى امتنع بحائط بنى النجار، وغلب الخلق عن أخذه والوصول إليه حتى جاء صلى الله عليه وسلم، فلما مشى ورآه الجمل برك لديه.. فقال صلى الله عليه وسلم: (هات الخطام).. هات كل مايوضع فى أنف البعير ليقتاد به.. فلما خطمه، ورأى الناس يعجبون منه رد رأسه إليهم فقال: " إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله غير عاص الجن والإنس".

ليس هذا فحسب.. بل انه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، ومامن دابة إلا وهى مسيخة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن، والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه"(١).

---

(١) قال الأمام مالك بن أنس رضى الله عنه عن يزيد ابن عبدالله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن ابى مسلم عن أبى هريرة (الحديث).

ورواه أبو داود، واللفظ له، والترمذى من حديث مالك، وأخرجه النسائى عن قتيبة عن بكر بن مضر عن ابن الهادية نحوه، وهو أتم.

وقد رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن طريقة آدم بن على عن عمر مرفوعا ولا تقوم الساعة الا فى الاذان يعنى أذان الفجر، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد، رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن على وهو ثقه، ونقل الهيثمى عن الطبرانى أنه قال فى هذا الحديث (معناه عندى والله أعلم فى وقت آذان الفجر وهو وقت الاستغفار والدعاء).

للحيوان لغة :

أجل.. الحيوان والطير وأى مخلوق فى الدنيا له لغة يتعايش ويتفاهم بها.. ليست مشكلة الحيوان أن الانسان لا يدرك ذلك! وبالرغم من هذا فقد علم الله سليمان ابن آدم لغة الطير والحيوان.. تحدث وتفاهم معهم.

(وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه، عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين. فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) (١).

ويستكمل الهدهد حديثه عن المرأة ذات العرش العظيم وقومها.. المهم فى الموضوع: إلى من يتحدث ذلك الطائر الضعيف؟! إلى سليمان؟!!! وبمنتهى الثقة والجرأة المتوجه بالأدب والخلق الحميد!! يتكلم بمنتهى القوة واللباقة المتوجة بالذكاء والدهاء!! إنه هدهد كامل الصفات والمعانى!!.

تكلمت النملة أيضا .. فهمها سليمان.. (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون.. حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها..) (٢).

إذن النملة عندها إدراك وشعور ولغة.. أدركت أن سليمان هو القادم بجنوده.. شعرت بالخطر.. قالت للنمل: (أدخلوا مساكنكم).

للمادة والنبات عاطفة :

أجل.. الجماد له إحساس وشعور.. وكذلك النبات.. يسبح ويسجد .. يحب ويكره .. يبكى ويضحك ونحن لا نرى ولا نسمع.. لاندرك ذلك لأننا لانعيش سوى فى عالمنا الخاص.. لكننا نقرأه فى الكتاب الكريم.. نعرفه من القرآن المجيد:

(وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.. (٣).

(ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس...)(٤).

---

(١) النمل ـ ٢٠ : ٢٢ بسلطان مبين : بحجة تبين عذره فى غيبته.

(٢) النمل ـ ١٧ : جزء من آية ١٩. فهم يوزعون: يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم. لايحطمنكم . لا يكسرنكم ويهلكنكم.

(٣) الاسراء ـ جزء من آية ٤٤.

(٤) الحج ـ جزء من آية ١٨. يسجد له: يخضع وينقاد لارادته تعالى.

(ويسبح الرعد بحمده..)(١).. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينشىء السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك)(٢).

السماء.. الأرض.. تشعر وتستطيع أن تبكى أو لاتبكى: (فما بكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين)(٣).

النبات والجماد يتكلم :

قال صلى الله عليه وسلم : " لايسمع مدى صوت المؤذن : جن ولا إنس ولا شجر ولا مدر ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة".

سبحان الله! حتى الشجر أيضا يسمع ويشعر! حتى المدر! صغار الحصى! قطع الطين اليابس! كلها تنطق؟! تتكلم وتشهد يوم القيامة؟!.

(ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)(٤).

ويقول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى: (مامن يوم تطلع شمسه إلا وتنادى السماء تقول: يارب أئذن لى أن أسقط كسفا على ابن آدم. فقد طعم خيرك ومنع شكرك. وتقول البحار: يارب أئذن لى أن أغرق ابن آدم. فقد طعم خيرك ومنع شكرك. وتقول الأرض: يارب ائذن لى أن أبتلع ابن آدم. فقد طعم خيرك ومنع شكرك. وتقول الجبال: يارب ائذن لى أن أطبق على ابن آدم. فقد طعم خيرك ومنع شكرك.

فيقول الله تعالى: دعوهم.. دعوهم. لو خلقتموهم لرحمتموهم.. إنهم عبادى فإن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم).

آه من طبيبهم! الشر فى الإنسان هو مرضه.. النافع الحكيم جل جلاله هو طبيبه.. والبلاء هو علاجه!!

هل صدقت أيها الأنسان أنك لست المخلوق الأوحد الذى يتكلم اللغات؟!

لغة الحساب :

سبق وقلنا أن كل المخلوقات تتكلم وتتفاهم.. والإنسان يتمتع بالعديد من اللغات.. فبأية لغة يحاسب العباد يوم القيامة؟!

---

(١) الرعد ـ جزء من آية ١٣.

(٢) قال الإمام احمد حدثنا يزيد حدثنا ابراهيم بن سعد: أخبرنى أبى قال كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبدالرحمن فى المسجد فمر شيخ من بنى غفار فأرسل إليه حميد فلما أقبل قال يا ابن أخى وسع الله فيما بينى وبينك فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بينى وبينه فقال له حميد ما الحديث الذى حدثتنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له الشيخ: سمعت عن شيخ من بنى غفار أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول الحديث) . والمراد والله أعلم أن نطق السحاب الرعد وضحكها البرق.

(٣) الدخان ـ ٢٩. (٤) فصلت ـ ١١.

قد تكون لغة القرآن الكريم.. وقد تكون السريانية.. قد تكون أية لغة.. فالله سبحانه وتعالى.. المهيمن العليم جل جلاله قادر على أن يعلم مخلوقاته كل اللغات أو ينطقهم جميعا لغة واحدة يحاسبهم بها.. أو يعلمهم أسلوبا للتفاهم والحساب. أيا كان.

المهم أن الحساب سيتم.. وكافة المخلوقات ستسمع وتفهم كل كلمة وكل حديث يوم القيامة ستزول كل الحجب والأسرار بمشيئة الرحمن.

حساب الطير والحيوان :

عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وشاتان تقتتلان فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها.

قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقيل له: مايضحكك يارسول الله؟

قال: " عجبت لها والذى نفسى بيده ليقاون لها يوم القيامة) (١).

قمة العدل.. مامن حق يضيع عند الله سدى.. حتى الشاة الجلحاء التى لا قرن لها تأخذ حقها يوم القيامة من الشاة القرناء التى نطحتها فى الدنيا.. فما بال الإنسان؟! عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاتين تنتطحان فقال:

"ليقتصن الله يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء" (٢).

حتى الجماد.. الجماد أيضا يسأل يوم القيامة ، ثم يقتص منه وله:

يحكى أن ثابت بن طريف استأذن على أبى ذر فسمعه رافعا صوته يقول: (أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك).

قال ثابت: (فدخلت فقلت: ماشأنك يا أبا ذر؟ قال: هذه، وماعليك إن رأيتك تضربها؟ قال: والذى نفسى بيده ـ أو نفس محمد بيده ـ لتسألن الشاه: فيم نطحت صاحبتها؟ وليسألن الجماد:" فيم نكب أصبع الرجل؟)(٣).

فى يوم الحساب تقول الملائكة للبهائم: (لم يحشركم الله ـ جل ثناؤه ـ لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون فضائح بني آدم)(٤).

تسجد الوحوش والبهائم سجدة لله، فتقول الملائكة : (ليس هذا يوم سجود. هذا يوم الثواب

---

(١) قال عبدالله بن أحمد وجدت هذا الحديث فى كتاب ابى بخط يده ثنا عبدالله بن محمد ثنا حماد بن سلمة ثنا ليث عن عبدالرحمن بن مروان عن الهزيل ابن شرحيل عن أبى ذر (الحديث).

(٢) قال القرطبى وروى ليث عن أبى سليم عن عبدالرحمن بن مروان عن الهزيل عن الهزيل عن أبى ذر (الحديث).

(٣) ذكر ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة وعمر بن الحارث عن بكر ابن سراده ان ابا سالم الجيشانى حدثه أن ثابت عن طريف استأذن على أبى ذر.. الخ.

(٤)ذكره القشيرى فى اسم (المقسط الجامع).

والعقاب).

تقول البهائم: (هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بنى آدم!)(١).

بعد أن يتم القصاص بين تلك المخلوقات.. بعد أن يأخذ كل ذى حق حقه.. يقول لها الملك القدوس: كوني ترابا.

تفرح الوحوش والبهائم.. تفرح الحشرات والطيور.. وتنادى.. تنادى على الناس وتقول: الحمد لله.. الحمد لله يابنى آدم الذى لم يجعلنا اليوم مثلكم.. فلا جنة.. نرجوها.. ولا عقاب نخاف.

وتعود ترابا.

يبكى الكافر.. يفزع.. لا يعتريه سوى الأسى والندم.. سوى الحزن.. يبحث فى ذاكرته عن عمل صالح.. يدرك أن الدنيا كانت مجرد رحلة قصيرة.. لم يدخر منها عملا ينفعه اليوم.. وتلك هى النتيجة .. ضاعت منه الدنيا.. وضاعت الآخرة.. فيعتصره الندم عصرا.. يتمنى لو يتخلص من وجوده.. لو يصير عدما.

(ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا)(٢).

---

(١) ذكره القرطبى عن ابى القاسم القشيرى فى شرح الاسماء الحسنى عند قوله المقسط الجامع وفى خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة.

(٢) النبا ـ نهاية آية ٤٠.

سؤال الرسل

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم..)(١).

(الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير)(٢).

وجاءت ساعة المواجهة.. مواجهة الرسل بأممهم.. لم يحاسب الله الملائكة.. ولم يحاسب الرسل.. فهم معصومين من الخطايا.. لم يحاسب الشهداء أيضا فقد غفر لهم ذنوبهم لحظة استشهادهم.. بل يجمع الله الرسل ويسألهم.. يسألهم وهو أعلم بالإجابة.. يسألهم ليواجه بهم عباده.. ليواجه بهم المكذبين برسل الله ودين الله.. جاء بهم ليؤكد للبشرية بأسرها أنهم رسل كرام أتوهم برسالة من عند الله..

وعلى مشهد من خلق الله أجمعين.. الإنس منهم والجان.. وعلى مشهد من الملأ الأعلى.. يقول اللطيف الودود لرسله الكرام: (ماذا أجبتم)..؟ (قالوا: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب)(٣).

ياله من خلق عظيم! قمة التأدب والحياء فى حضرة الله.. إنهم رسل الله يعرفونه ويقدرونه حق قدره.. فكيف يدلون بعلم فى حضرة علام الغيوب! يعلم الرسول ظاهر الأمور.. أما باطنها فلا يعلمه سوى علام الغيوب، يعلم الرسول حقيقة من استجاب من أمته وآمن بالله، وحقيقة من كفر ولم يستجب والعياذ بالله.. لكنه قد لا يعلم من آمن نفاقا ورياء. يعلم الرسول مدى استجابة أمته فى حضرته لكنه لايعلم ماذا فعلت أمته من بعده..(.. فهل على الرسل إلا البلاغ المبين)(٤)؟

لايفوتنا أن نسترشد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد حين قال: (إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل عليه السلام، فيقول له ربه: مافعلت فى عهدى هل بلغت عهدى؟.

فيقول: نعم: قد بلغت جبريل.

فيدعى جبريل عليه السلام فيقول: هل بلغك إسرافيل عهدى؟

فيقول: نعم يارب قد بلغنى.

فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدى؟

فيقول جبريل: نعم قد بلغت الرسل.

فيدعى الرسل فيقول: هل بلغكم جبريل عهدى؟

فيقولون: نعم.

فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرسل: هل بلغتم عهدى؟

فيقولون:" قد بلغنا أممنا.

---

(١) المائدة ـ جزء من اية ١٠٩. (٢) الحج ـ ٧٥. (٣) المائدة: جزء من آية ١٠٩. (٤) النحل ـ جزء من آية ٣٥.

فتدعى الأمم فيقال لهم: هل بلغكم الرسل عهدى؟

فمنهم المصدق ومنهم المكذب، فتقول الرسل: إن لنا عليهم شهودا يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك.

فيقول : من يشهد لكم؟

فيقولون: محمد وأمته.

فتدعى أمة محمد فيقول: تشهدون أن رسلى هؤلاء قد بلغوا عهدى إلى من أرسلوا إليه؟

فيقولون: نعم، رب شهدنا أن قد بلغوا.

فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟!

فيقول لهم الرب: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟

فيقولون": ربنا بعثت إلينا رسولا.، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصك علينا إنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا.

فيقول الرب : صدقوا.

فذلك قوله عز وجل: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، والوسط العدل (لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا).

قال ابن أنعم: فبلغنى أنه يشهد يومئذ أمة محمد إلا من كان فى قلبه حنة على أخيه)(١).

لماذا تكون هذه الأمة شهداء على الناس؟ ولماذا يكون الرسول عليهم شهيدا؟

نزل جبريل عليه السلام برسالة من عند الله إلى جميع الرسل.. رسالة واحدة من إله واحد إلى كل الرسل.. رسالة أساسها التوحيد.. أساسها الإيمان بأنه لا إله إلا الله.. والإيمان برسل الله واتباع المنهج الذى بعثوا به.. وكلما بعث رسول برسالة من الله إلى أمة وجب على الرسل الذين سبقوه وأممهم اتباعه والإيمان به.. لم يأت رسول ليلغى رسالة من قبله من الرسل.. بل ليؤكدها ويكملها.. حتى جاء محمد.. خاتم الرسل.. فانقطع الوحى من بعده.. لن يهبط جبريل عليه السلام برسالة إلى رسول بعد أحمد عليه الصلاة والسلام أبدا.

وجب على أحمد وأمته الإيمان بكل من سبقه من الرسل.. كما وجب على الأمم التى سبقته أن تتبعه وتؤمن به.. بعث أحمد بالقرآن.. بعث بكتاب علم وعمل من عند الله.. قص علينا سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم قصص الرسل والأنبياء...

●●●

(١) أخرجه ابن المبارك فى رقائقه فقال: أخبرنى رشد بن رشدين بن سعد قال: أخبرنى ابن أنعم المغافرى عن حبان بن أبى جبلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحديث) والآية من سورة البقرة ـ جزء من آية ١٤٣.

من آمن بوحدانية الله ورسوله وكتابه العظيم.. آمن بكل ماورد به.. وآمن بجميع الرسل والأنبياء.. لن يتعرض القرآن الكريم للتحريف أبدا حيث قال فيه عز وجل:

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١).

ومن ثم فقد استحقت الأمة التى آمنت بهذا الكتاب.. وأيقنت تماما بكل ماورد به.. الأمة التى شهدت كل الرسل والأنبياء منذ عهد آدم وحتى خاتم المرسلين عبر صفحات القرآن العظيم.. الأمة التى آمنت بكل الرسل دون التعصب لأحد منهم دون سواه.. استحقت هذه الأمة.. بل وجب على المؤمنين منها أن يصيروا شهداء على الناس يوم الحساب.. ووجب على الرسول الذى بعث بهذا القرآن أن يكون شهيدا عليهم جميعا.

(ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)(٢).

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط(٣) وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، ومن يبتغ غير الإسلام (٤) دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)(٥)

---

(١) الحجر ـ ٩. الذكر : القرآن.

(٢) النحل ـ ٨٩.

(٣) الأسباط : أولاد يعقوب أو أحفاده.

(٤) الإسلام: هو إسلام الأمر لله تعالى وحده.. هو الاستسلام والخضوع والطاعة.. لله وحده.. هو الايمان به تعالى وبملائكته وكتبه ورسله جميعا واتباع أوامره عز وجل.

(٥) آل عمران ـ ٨٣ : ٨٥.

كل مع من عبد

(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم)(١).

ياله من هول جد شديد! فى يوم الحشر.. يعلو صوت قوى جبار.. لتتبع كل أمة ماكانت تعبد.

ويتفرق العباد.. كل يتبع معبوده.. كل أمة تقف مع الإله الذى عبدته فى الدنيا من دون الله.. سواء كان من الملائكة أو الإنس أو الجان.. أو كان حيوانا أو جمادا. يقف الإله الذى كان خلقا من خلق الله! يقف فى المقدمة وتقف أمته من ورائه!

إنتهت إرادة العباد.. الإنس منهم والجان.. لم تعد هناك سيطرة للعبد على جوارحه.. فلم تعد تتلقى أوامرها إلا من خالقها مباشرة.. وتسير الأقدام بالعباد الذين فقدوا السيطرة عليها.. تسير بهم رغم إرادتهم.. تتجه بهم إلى ما أو من عبدوا فى الدنيا.. يفقد المشركون قدرتهم على الخداع.. لايستطيع أى منهم أن يقف فى مكان غير مكانه.. لايستطيع أن يقف مع إله غير إلهه الذى عبده فى الدنيا.

عند سماع النداء.. يسرع عبدة الأصنام إلى الأحجار التى صنعوها وعبدوها ليقفوا وراءها!! يتجه عبدة التماثيل الذهبية كالبوذيين إلى تماثيلهم ليحتمون فيها!! ويحشر عبدة الشمس والقمر والنجوم والكواكب.. كل منهم يحشر مع ماعبدا!! يجرى عبدة الحيوانات كبعض الهنود إلى الحيوانات التى عبدوها ويقفون وراءها.. يجرى البشر وراء بقرة أو غيرها من الحيوانات لتصير لهم حمى!! يهرع عبدة الجن والشياطين كالسحرة إلى شياطينهم!! ويحشر من عبدوا آباءهم أو زعماءهم ككفار الجن الذين عبدوا إبليس الذى كان أبا وزعيما لهم فى الدنيا.. يحشر هؤلاء مع من عبدوا!! ويقف آل فرعون مع فرعون شخصيا! وهو فى مقدمتهم! يتوجه الذين عبدوا عزيرا إلى الشيطان الذى أوحى لهم بذلك حيث يتمثل لهم فى صورة عزير فيتبعونه! وكذلك الذين عبدوا عيسى ابن مريم! كل من أشرك بالخالق وعبد شيئا من خلقه يتبع ماعبد.. حتى لا يبقى على الساحة سوى من عبدوا الخالق الرزاق الحق وحده فيحشرون معا.

حينئذ.. يتوعد الباعث المحصى جل جلاله المشركين ويقول لهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم).. كل يلزم مكانه.. أنتم وشركاؤكم .. لا أحد يتحرك حتى نتخذ معه موقفا.

ياله من أمر جد مهين! أجل! إنهم شركاؤهم الذين صنعوهم بأيديهم.. بخيالهم.. لم يكونوا يوما شركاء لله سبحانه وتعالى أبدا.

---

(١) يونس ـ جزء من آية ٢٨.

وترجف القلوب.. ترتعد الأبدان.. كل يتسمر فى مكانه.. لا حركة ولا همس.. ويمضى أمر الله.. يفرق بينهم.. بين المشركين وشركائهم.. يقطع بينهم الأوصال .. إيذانا بالمواجهة.. ذلك حين قال: " فزيلنا بينهم.."(١).

روى مسلم أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يارسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله. قال: هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب"؟ قالوا : لا.

قال: " فإنكم ترونه كذلك. يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه: فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيث الطواغيث، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجوز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفى جهنم كلاليب(٢) مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟".

قالوا: نعم، يارسول الله، قال: " فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق (٣) بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجى..".

وتبدأ المواجهة .. المواجهة بين المشركين وشركائهم.. فهناك مخلوقات عبدت دون ذنب منها.. مخلوقات خلقت أصلا بلا إرادة.. لا تملك القدرة على غواية أحد لعبادتها.. بل خلقت مجبرة على طاعة الله.. مسبحة له سبحانه وتعالى.. كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والنار والأحجار والحيوانات.. ماذنب تلك المخلوقات فى هذه التهمة التى وجهت إليها ؟!

وهناك من خلق من البشر وله إرادة.. لكنه عبد رغما عن إرادته.. عبد بعد رحيله من عالم الدنيا دون علم منه.. كعيسى عليه السلام وأمه مريم وعزير.. إنهم من خير خلق الله.. ماذنب هؤلاء الناس لتنسب إليهم مثل تلك الجريمة الشنعاء؟!

ماذنب الملائكة الذين عبدوا من دون الله وقد خلقهم أصلا لطاعته وتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى؟! الملائكة هم رسل الله إلى عباده بالحق.. فكيف يعبدون؟!

---

(١) يونس ـ جزء من آية ٢٨.

(٢) الكلاليب: جمع كلاب وكلوب: خشبة فى رأسها عقافة منها أو من حديد وكلاليب الشجر شوكة. والسعدان: نبت له شوك، وهو من أفضل ماترعاه الإبل وفيه ضرب المثل فقيل: (مرعى، ولاكالسعدان!).

(٣) الموبق: المحبوس بعمله كما يشير اليه قوله تعالى: فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا). قال الطبرانى: عداوة. وقيل مهلكا: أى جعلنا فعلهم مهلكا لهم. وقيل: هو اسم واد فى جهنم فصل بين الجنة وأهل النار.

لم يحاسب الله هؤلاء الأبرياء.. ولم يعذبهم.. بل يسألهم وهو أعلم بالإجابة.. يسألهم ليواجه بهم الذين عبدوهم وتصير فضيحتهم عامة على الملأ.

إن الذنب هو ذنب شياطين الجن والإنس الذين دعوا الناس لعبادتهم.. أغووهم.. بل وأجبروهم بالإكراه على عبادتهم.. كإبليس وفرعون وأمثالهم.. هؤلاء هم الذين يستحقون الحساب العسير.. ويستحقون أشد العذاب.

ويفزع الذين اتخذوا آلهة من دون الله أو مع الله.. يفزعون من هول الموقف.. يلجأون بضعفهم إلى الإله الحق.. الخالق الرقيب.. يلجأون إليه سبحانه وتعالى ليبرئوا أنفسهم من ذلك الاتهام الشديد.. ويشهدون الله على ذلك.. يعلنون أنهم لاعلم لهم بتلك الألوهية التى تنسبها إليهم أتباعهم.

(.. وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون، فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين)(١).

سؤال الملائكة :

(ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون!)(٢).

(قالوا: سبحانك).. تعاليت وتقدست.. تباركت وتنزهت عن أن يعبد غيرك فى هذا الكون..

(أنت ولينا من دونهم).. نحن عبادك ونتبرأ إليك منهم.. (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)(٣).. كانوا يعبدون شياطين الجن الذين أوحوا لهم بعبادة خلقك.

ربنا! إننا لم نغر أحدا بعبادتنا.. بل لم ندبر شيئا عن ذلك.. إنا لانملك المعصية.. نحن نسبح لك ليل نهار.

ويعلم الله أن الملائكة (.. لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون)(٤).

سؤال عيسى عليه السلام.

(وإذ قال الله: ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله..)(٥).

لم يقصد سبحانه وتعالى عيسى ابن مريم بالسؤال لأنه أعلم بما قاله للناس.. بل يقصد من عبدوه عليه السلام.

---

(١) يونس ـ جزء من آية ٢٨ : ٢٩.

(٢) سبأ ـ ٤٠.

(٣) سبأ ـ ٤١.

(٤) التحريم ـ جزء من آية ٦.

(٥) المائدة ـ جزء من آية ١٦.

يرتجف عيسى.. كيف يدعى الألوهية وهو يعلم أنه عبد من عباد الله؟! كيف يدعيها وهو نبى صالح من خيرة خلق الله على الإطلاق؟! ويسرع عيسى بتبرئة نفسه من تلك الجريمة التى لايطيقها مسلم عادى فما بال رسول كريم من أولى العزم؟!

يرتعد عيسى.. يبتهل إلى ربه.. يسرع لينزهه سبحانه وتعالى عن أن يكون هناك معبود سواه.. وبمنتهى الإيمان والخشوع.. : (قال: سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك، إنك أنت علام الغيوب)(١).

ويعلن عيسى على الملأ عبوديته وعبودية من عبدوه لله وحده لاشريك له:

(ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به: أن اعبدوا الله ربى وربكم..)(٢).

لم يعبد الناس عيسى أثناء وجوده معهم فى عالم الدنيا.. بل عبدوه وانتشرت حوله الأقاويل بعد انتقاله عليه السلام إلى العالم الآخر.. فهو مسئول عنهم فى فترة تواجده معهم.. أما بعد رحيله فقد انتفت مسئوليته.. فيفوض أمرهم لله تعالى ويقول: (.. وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى(٣) كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)(٤).

ويصدر حكم الله.. يأتى الرد الحاسم على عيسى عليه السلام.. عيسى المؤمن الصادق .. يخرج الرد متجاهلا الكذب والمكذبين.. متجاهلا أولئك الذين عبدوا غير الله سبحانه وتعالى.. يصدر حكم الله فى أعظم قضية قام على أساس الصدق فيها كل الوجود..

قضية الألوهية والعبودية.. عقيدة التوحيد.. وتنطلق كلمة الملك القدوس.. المهيمن الرحمن جل جلاله.. تنطلق قوية.. مدوية.. تهز الوجود بأسره:

(قال الله: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم، لله ملك السماوات والأرض ومافيهن وهو على كل شىء قدير)(٥).

سؤال ماعبد من دون الله :

يأتى سبحانه وتعالى بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والأحجار وكل ماعبد من دون الله، يسأل كل منهم على حدة.. يسألهم ليوبخ بهم من عبدوهم: هل قلتم لهؤلاء اعبدونا من دون الله؟! تفزع تلك المخلوقات.. تنطق وتتكلم.. تتبرأ جميعها من ذلك الاتهام الخطير: (سبحانك أنت ولينا).. نحن أعبد لك منهم.. نحن نسبحك ليل نهار.. إنا مسخرون لطاعتك وعبادتك.. فكيف ندعوهم لعبادتنا ؟! سلهم يارب.. أين رسولنا إليهم الذى أجبرهم على عبادتنا ؟! أى دعوة بلغناهم إياها ليسيروا على خطاها ؟! إننا نحتقرهم!! نود لو نفتك بهم.. نحن نتبرأ منهم.. (إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتّبعوا..)(٦)

---

(١) المائدة ـ ١١٦. (٢) المائدة ـ ١١٧. (٣) توفيتنى: أخذتنى إليك وافيا برفعى إلى السماء حيا.. وقد يكون المعنى إن الله قد توفاه من حياة الأرض ورفعه حيا عنده أما صورة الحياة فى العالم الآخر فلا نعلم عنها شيئا.

(٤) المائدة ـ جزء من آية ١١٧ ـ ١١٨. (٥) المائدة ـ ١١٩ ـ ١٢٠. (٦) البقرة ـ جزء من آية ١٦٦.

يسأل الله تلك المخلوقات وهو أعلم بهم: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده..)(١).

مواجهة شياطين الجن والإنس بمن عبدوهم.

(ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون)؟!

ويبرأ الشياطين ممن عبدوهم.. يتخلون عنهم.. لم ينكروا أنهم كفروا بالله بكامل إرادتهم.. لم ينكروا أنهم أغووا هؤلاء على الشرك به سبحانه وتعالى.. بل ينكرون أنهم أجبروهم على ذلك.. فقد يكون لهم سلطان على الجسد.. لكن لايمكن أن يصل سلطانهم إلى القلب.. إلى العقيدة والمشاعر.. لايمكن أن يصل سلطانهم إلى الروح إلا لو أرادوا هم ذلك بمحض إرادتهم.

ويقف هؤلاء الشياطين بكل جرأة وتبجح.. يقفون أمام رب العزة ويقولون:

(ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ماكانوا إيانا يعبدون)(٣).

(وقيل ادعوا شركاءكم..) ادعوهم لينقذوكم مما أنتم فيه.

(.. فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون)(٤).

يا للخزى والعار.. لقد تبرأ منهم من ظنوهم عونا لهم فى ذلك اليوم العصيب.. لو أنهم تذكروا موقف إبليس زعيم شياطين الجن والإنس.. لو أنهم تذكروا موقفه حين أعلن عداءه لآدم وذريته منذ بداية الخليقة حين قال لله سبحانه وتعالى.. (قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين،، إلا عبادك منهم المخلصين)(٥).. لو تفكروا فى ذلك.. لوتجنبوه فى الدنيا لما صار هذا مصيرهم يوم الحساب.

(ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين، فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون)(٦).

يومئذ.. لا يعلم المشركون شيئا عن أى شيء.. تارة يلوذون بصمت وسكون.. وأخرى يكذبون على أنفسهم.. بعد تعرى الفطرة من خبث الدنيا.. ينتابهم الشعور بالخزى والعار.. يحاولون التخلى عن ماضيهم.. عن أفعالهم .. يتناسون شركهم بالله فى حياتهم الدنيا.. ويقرون بوحدانيته سبحانه وتعالى.. لكن متى؟! فى حياتهم الآخرة؟!

بعد فوات الأوان ؟!

(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، ثم لم تكن فتنتهم(٧) إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم(٨) ماكانوا يفترون) (٩).

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)(١٠).

---

(١) الاسراء ـ جزء من آية ٤٤. (٢) القصص ـ ٦٢. (٣) القصص ـ جزء من آية ٦٣. أغوينا: دعونا إلى الغى فاتبعونا. (٤) القصص ـ ٦٤. (٥) ص ـ ٨٢ ـ ٨٣. (٦) القصص ـ ٦٥ ـ ٦٦ . فعميت عليهم الأنباء: خفيت واشتبهت عليهم الحجج. (٧) فتنتهم : مقدرتهم. أو عاقبة شركهم. (٨) ضل عنهم : غاب وزال عنهم.
(٩) ماكانوا يفترون: يكذبون ـ الاصنام وشفاعتهم ـ الانعام ـ ٢٢ ـ ٢٤. (١٠) يونس ـ ٣١.

فذلكم الله ربكم الحق(١) فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون،(٢) كذلك حقت(٣) كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون، قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون(٤)، قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى(٥) إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون، ومايتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغنى من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون)(٦).

---

(١) ربكم الحق: الثابتة ربوبيته بالبرهان ثبوتا لاريب فيه.

(٢) فأنى تصرفون: فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الكفر والضلال؟.

(٣) حقت: ثبتت ووجبت.

(٤) فأنى تؤفكون؟: فكيف تصرفون عن طريق الرشد؟

(٥) لايهدى: لايهتدى بنفسه.

(٦) يونس ـ ٣١ : ٣٦.

دخول الجنة بغير حساب

(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا...)(١)

وتتوالى الأحداث .. يسود صمت رهيب.. فالنار شاخصة أمام الجميع.. سوداء مظلمة.. تثور وتفور.. صوتها يدوى.. والصراط من فوقها ممدود.. جسر أحد من السيف.. أدق من الشعر.. ياويل من يجبر على الصعود فوقه.. وقد أثقل ظهره بالخطايا والذنوب!

والجنة.. الجنة أمام الصراط.. تبدو بعيدة.. بعيدة.. لكنها جميلة.. بل رائعة.. مضيئة براقة.. شامخة.. فاخرة.. لم ير لها مثيل!. ويعبر الرسل والأنبياء.. يعبرون الصراط.. وقد خمدت النار تحته.. خمد صوتها ولهيبها.. تبدد ظلامها.. وانبثق نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام.. انبثق نور فياض بما تحمله النبوة من أرقى وأسمى الصفات.

نور يملأ الآفاق.. يشع للعالم أجمع.. يعبر الأنبياء الصراط فى أسرع من لمح البصر.. ويدخلون الجنة.. أول من يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم.

روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة"(٢).

يصدر أمر الله.. أمر النور الهادى(٣) جل جلاله، ينادى:

أين أحمد وأمته؟ يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم ولا عذاب.

وتتتابع أمة محمد.. جماعات.. جماعات.. يقودهم عليه الصلاة والسلام إلى الجنة.. يقودهم وبيده لواء الحمد.. وقد كتب عليه: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

تتتابع أمة إبراهيم.. يقودها عليه الصلاة والسلام إلى الجنة.. تعبر سائر الأمم على الصراط تترى.. تعبر خلف أنبيائها الكرام.

يدخل الجنة بغير حساب: الصديقون.. العلماء.. الشهداء.. المؤمنون: المؤمنون الصابرون.. الحمادون.. المتوكلون.. المتوكلون على الله حق التوكل. أولئك يدخلون الجنة بغير حساب لكن بشرط.. بشرط ألا يكون عليهم مظلمة لمخلوق على الإطلاق.

يملأ الأفق سواد أعظم.. كم هائل من الناس.. وجوههم كالقمر ليلة البدر.. أجل.. إنهم أمة محمد.. أول أمة تعبر الصراط وتدخل الجنة..أكثر الأمم عددا.. فى مقدمتهم أبو بكر الصديق.. يسعى نورهم بين أيديهم .. بل يشع النور من وجوههم. إنهم نور يتلألأ.. يتلألأ فى موكب

---

(١) الزمر - جزء من آية ٧٣. زمرا: جماعات متفرقة متتابعة. (٢) قال مسلم ثنا ابو كريب محمد بن العلاء ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث) (٣) النور الهادى: من أسماء الله الحسنى.

هائل.. موكب عظيم من الملائكة.. تتلقاهم بالتكريم والتعظيم والترحاب.. ويدخلون الجنة أفواجا بعد أفواجا.

ويصدح صوت عبر الآفاق.. صوت ندى شجى. صوت قوى.. يقول: أحد أحد.. أحد أحد.

يتسلل صدى الكلمات إلى الأفئدة والآذان.. فينطلق من العباد شعور لا إرادى.. شعور فطرى.. يردد العابرون على الصراط .. ويردد وراءهم سائر العباد: أحد أحد.. أحد أحد.

وتنهمر الدموع.. دموع الرهبة والخشوع.. دموع الإيمان واليقين.. دموع الفرحة بذلك الموقف العظيم.. وإذا بنفس الصوت ينادى .. وينادى وراءه كل العباد:

الله أكبر.. الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدا رسول الله.

أجل .. إنه بلال ابن رباح.. مؤذن الإسلام.. مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام.. إنه بلال.. ذلك العبد الحبشى الأسود .. وبالرغم من سواد بشرته.. إلا أنه يشع نورا وبهاء.. يشع نضارة فى ذلك اليوم العظيم.. إنه العبد الفقير الضعيف.. العبد الذى فجر الإسلام طاقاته.. حرره.. وجعله من أعظم الرجال فى العالم.. إنه الرجل الذى تحمل أقسى وأشد ألوان التعذيب.. تحملها بكل صلابة وقوة.. بكل اصرار وصمود.. وأخذ يردد أنشودته الخالدة.. أنشودته التى تداولت عبر الأزمان: (أحد أحد.. أحد أحد) حتى اشتراه أبوبكر الصديق وأعتقه.. إنه الرجل الذى قال عنه عمر بن الخطاب :(أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا) .. وتحققت نبوءة محمد عليه الصلاة والسلام.. محمد الذى طالما قال عن بلال أنه رجل من أهل الجنة..

هاهم شهداء الإسلام: هاهى سمية أول شهيد فى الإسلام من أمة محمد.. هاهو ياسر.. وهاهو ذا عمار بن ياسر.. يتألقون على الصراط .. تتلألأ وجوههم نورا.. يعبرون الصراط بكل ثبات ووقار.. تحيط بهم هالة من التشريف والتكريم.. وتستقبلهم الملائكة بالحفاوة.

لقد تحملوا ألوانا من العذاب.. من الذل والمهانة.. صبروا واحتسبوا.. قتلت سمية أم عمار أثناء التعذيب.. قتلها أبو جهل.. ومات أبوه ياسر من شدة العذاب.. ولقى عمار أهوالا وأهوالا.. لكنه استشهد فى موقعة صفين بعد أن جاوز التسعين من عمره! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إلى آل ياسر حيث يعذبون.. كان يشد أزرهم.. يحيى بطولتهم وصمودهم.. ويثبتهم على الإيمان.. كان قلبه الرءوف يذوب عليهم حنانا ورحمة لما يلقونه من عذاب فوق احتمال البشر.. حتى أن عمار نادى رسول الله يوما وقال: (يارسول الله.. لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ).

فنادى الرسول عليه الصلاة والسلام: " صبرا آل ياسر.. فإن موعدكم الجنة"".

وهاقد آن الأوان.. وحان موعد آل ياسر.. موعدهم مع الجنة

مازالت الوفود تتوافد إلى الجنة.. من كل الأمم.. وتتراءى شهيدة الإسلام فى عهد موسى

سمية أول شهيد لانها اول شهيد على الاطلاق من الرجال والنساء وليست شهيدة من النساء فقط

عليه السلام.. المرأة العظيمة التى اقترن اسمها فى القرآن مع اسم مريم ابنة عمران، مما أعطاها مكانة عالية بين نساء العالمين.. (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين، ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)(١).

آمنت امرأة فرعون.. آمنت آسية بنت مزاحم رضى الله عنها برسالة موسى عليه السلام.. قالت: آمنت برب موسى وهارون.. آمنت بالله الواحد الأحد.. لما علم فرعون بذلك ألقى عليها أشد وأقسى عذاب حتى توجهت إلى ربها داعية بإيمان ويقين راسخ:

(رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة).. ونظرت إلى السماء .. أبصرت بيتها فى الجنة.. فابتسمت.. ذهل فرعون.. قال: أنعذبها وتضحك؟

ثم أمر أعوانه أن يأتوا بأضخم صخرة.. قال: إن ظلت على قولها فألقوها عليها.. أما إن رجعت عنه فهى امرأتى وظلت آسية على إيمانها.. وصعدت روحها إلى بارئها.. فألقيت الصخرة على جسد بلاروح.. وهاهى قد عادت إليها الروح لتلقى وعد ربها وتفوز ببيتها فى الجنة.

فى ظلال الرحمة الإلهية الوارفة يوم الفزع الأعظم نرى أمثالا وأمثالا.. نرى امرأة خازن فرعون .. ماشطة ابنته التى آمنت برسالة موسى عليه السلام.. ولما عرف فرعون أمر بتعذيبها أشد العذاب.. شد يديها وقدميها بالأوتاد.. أطلق عليها الحيات.. ظلت هكذا حتى أتاها يوما ليساومها فى دينها.. فقالت له: الله ربى وربك ورب كل شىء. فاشتد غيظا وقال: إن لم ترجعى عما تقولين سأذبح ابنك فى فيك.

قالت: افعل ماتشاء.

وذبح ابنها فى فيها.. تألمت.. تألمت أشد وأقسى الألم.. بل اهتز كيانها بأسره.. لكنها صبرت واحتسبت.

وجاءها روح ابنها.. بشرها وقال: ابشرى يا أمة فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. فصبرت.

ثم أتاها الشيطان فرعون يوما آخر.. وتكرر نفس الموقف.. ذبح ابنها الثانى فى فيها.. وبشرها روحه أيضا بنفس البشرى.

هاهى بعد أهوال الدنيا الجسام.. تصعد روحها إلى بارئها.. حتى يأتى اليوم الموعود.. يوم العدل والانصاف.. يوم الرحمة.. يأتى يوم القيامة لتستظل بظلال رحمة العفو الرءوف جل جلاله وتستروح نسائمها الرحبة.. هاهى تنال ثوابها عند الله وتدخل الجنة.. تدخلها قبل الحساب او

---

(١) التحريم - ١١ : ١٢.

بعده.. الله أعلم.

اسمع لى صديقى القارىء أقطع حديثى معك .. فقد تعبت.. سئمت الحديث عن ظلم الانسان لأخيه الانسان.. كرهت قسوة وعنف البشر مع البشر التى غدت مجرد كلمات تكتب.. سطور تقرأ.. سطور تشير إشارة عابرة إلى أهوال جسيمة تحملها البشر.. أهوال لايستطيع الصمود أمامها سوى القلة النادرة أهوال عرفتها البشرية عبر الأزمان.. وبعد مضى قرون وأحقاب .. تتحول إلى كلمات على الورق.

أمازلت أخى القارىء تردد حديثك عن أهوال يوم القيامة؟!

أما زلت لاترى فى يوم الحساب غير الأهوال؟!

إن ليوم الحشر أهوالا جساما بلاشك.. أهوالا لايستطيع تصورها مخلوق.. لكنها لاتقع إلا على من صنعوها بأيديهم فى الدنيا.. أمثال إبليس.. فرعون.. النمروذ.. أبو جهل.. أبولهب.. وغيرهم وغيرهم من شياطين الإنس والجان الذين انتشروا عبر العصور فى شتى بقاع الأرض.. والذين لايستحقون سوى القذف فى جهنم بغير حساب.

ولنعد إلى موضوعنا.. إلى الصبر والصابرين عن إيمان ويقين تام.. لنعد إلى الصراط والذين يدخلون الجنة بغير حساب والله أعلم بهم.

ينادى على المكفوفين.. الذين حرموا نعمة البصر فى الدنيا.. الذين لم يتذمر أحد منهم. لم يشك ولم ييأس.. لم يقنط من رحمة الله أبدا.. لم ينس سائر نعم الله عليه التى لا تعد ولا تحصى.. بل تحلى بالصبر والرضى.. شكر وحمد.. توكل على الله وظل فى حركة وسعى دائم مستمر طوال حياته.

يصعد هؤلاء العباد فوق الصراط وقد رد إليهم بصرهم.. تعقد لهم راية فى يد شعيب عليه السلام.. ويقودهم إلى الجنة.

ينادى على أهل البلايا والمحن.. تعقد لهم راية فى يد أيوب عليه السلام.. أيوب الذى صبر على المرض والفقر. وفقدان الأهل والأصحاب.. لم يقنط من رحمة الله .. لم ييأس ولم يستسلم.. بل كان دائم العبادة والشكر والحمد والتوكل على ربه عز وجل.

ينادى على أهل العفة والطهارة.. على الشباب الذين سدت أمامهم أبواب الزواج الحلال.. وفتحت ابواب الحرام على مصراعيها.. ضيق عليهم الخناق بأى شكل من الأشكال ولأى سبب من الأسباب .. وبالرغم من ذلك تعففوا.. صبروا ولم يقربوا الزنا.. تعقد لهم راية فى يد يوسف عليه السلام ويدخلون الجنة.

وينادى على الأغنياء الأتقياء.. تعقد لهم راية فى يد سليمان عليه السلام .. سليمان الذى منحه الله النبوة والمال والجاه والسلطان.. منحه ملكا لم يمنحه أحدا على وجه الأرض.. ملكا شمل الانس والجن والطير والريح.. وبالرغم من ذلك فقد صمد سليمان.. صمد وصبر.. صبر أمام كل

هذه الفتن والإغراءات والمسئوليات.. لم يتكبر لحظة.. لم يستغل أمواله أو نفوذه فيما لايرضى الله.. بل لم ينفق مالا إلا فى سبيل الله.. لم يشغله ملكه عن عبادة الله حق العبادة.. ولم يحكم إلا بالعدل.

تسرع تلك الوفود .. يسعى نورهم معهم على الصراط.. تزفهم الملائكة إلي الجنة.. وتتعالى الصيحات بالتسبيح والتحميد.. بالتهليل والتكبير.

وتتساقط دموع المؤمنين الذين لم يعبروا الصراط بعد.. المؤمنين من كل الأمم الذين مازالوا على موعد مع الحساب.. يقف المؤمن منهم وقد نسى ماهو فيه من هول الموقف.. رفع بصره نحو الأفق ليتأمل ذلك المشهد العظيم.. ويرتعش كيانه دهشة وذهولا.. يهتز من الفرح.. لطالما سمع أو قرأ عن رسل الله وأنبيائه.. آمن بهم جميعا عليهم الصلاة والسلام.. قد يكون معاصرا لأحدهم فى الدنيا.. لكنه لن يكون معاصرا لهم أجمعين.. هاقد آن الأوان ليراهم جميعا رأى العين.. يمرون على الصراط فى جلال ووقار.. ينبثق نورهم ويضىء فى الآخرة كما أضاء الدنيا.

هاهو حبيب الله محمد.. لقد عبر الصراط.. فتحت له أبواب الجنة.. ودخل.. هاهو ذا خليل الله إبراهيم.. روح الله عيسى.. كليمه موسى.. وصفيه آدم.. هاهو العبد الشكور نوح.

ثم هاهم: اسماعيل.. يعقوب، اسحاق.. يونس ..يوسف.. داوود .. سليمان وسائر أنبياء الله تعالى.. ومن ورائهم الصديقون والعلماء.. الشهداء وأولياء الله الصالحين الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

ويرفرف قلب المؤمن بذلك الموقف الجليل.. تجيش مشاعره بالفرح.. تزفر دموع الرهبة والإجلال والتقدير.. ويبكى.. يبكى أحلى وأجمل بكاء بكاه فى الوجود.. تشتد به اللهفة.. يود لو يمد يده إلى نبى.. يصافحه.. يخاطبه.. يصادقه.. لكن هيهات.. هيهات الآن.. لكنه على موعد.. موعد لم يأت أوانه بعد.

أحاديث في الصبر والطريق إلي الجنة

إن الصابرين الذين يدخلون الجنة بغير حساب كثيرون لكنهم قلة نادرة إذا ماقورنت بسائر خلق الله أجمعين.. قلة متواجدة فى شتى بقاع الأرض عبر العصور.. فهناك ضحايا للحروب الطاحنة بين الشعوب على مر الأزمان.. ضحايا صبرت واحتسبت عن إيمان راسخ ويقين تام.. هناك ضحايا ذكرت فى التاريخ.. وضحايا لا يعلمها إلا السميع البصير جل جلاله.. لكن ليس من حقى إلقاء الضوء على شخصيات بعينها على أنها من أهل الجنة.. مالم يرد ذكرها فى القرآن أو مالم يوح بها إلى نبى.

ليس الصبر هو الصبر على التعذيب فى الحروب فقط.. بل ان الصبر له أشكال وألوان متعددة.. فقد تكون أنت أيها القارىء أحد هؤلاء الصابرين.. وتدخل الجنة بغير حساب.. ومن يدرى.. قد يلجأ إليك بعض الأهل أو الأصحاب أو الجيران لتشفع لهم عند رب العالمين .

تلك أمور لا يستطيع أن يتنبأ بها إنسان.. ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

فى حديث عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"ياعائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد. ياعائشة: إن الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفنى ماكلفهم فقال: (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله"(١).

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عز وجل قال: إذا ابتليتُ عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة".. المقصود بحبيبتيه.. : عينيه . قال: " يقول الله تعالى: مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه(٢) من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".

كما روى البخارى عن هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من زهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة؛.عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل، وإن طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب"(٣) قال ابن مسعود: من احتفر بئرا بفلاة من الأرض إيمانا واحتسابا دخل الجنة بلا حساب.

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه"(٤).

---

(١) قال ابن أبى حاتم حدثنا عن بن الحجاج الحضرمى حدثنا السرى بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبى عن مشروق قال قالت لى عائشة رضى الله عنها: ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال (الحديث).(أولوا العزم من الرسل) الأحقاف ـ جزء من آية ٣٥. ذكر التفسير أنهم : نوح ـ ابراهيم ـ موسى ـ عيسى محمد عليهم الصلاة والسلام.

(٢) قبضت صفيه: مات ابنه.

(٣) نقله القرطبى من الزيادات بعد الأربعين لاسماعيل بن عبدالغافر رحمه الله قال: حدثنا يحيى عن الحسين ابن على، حدثنا يزيد بن هارون، عن داوود بن أبى هند، عن الشعبى، عن ابن أبى ليلى، عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث).

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال: حدثنى حسن. عن أبيكريمة المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (الحديث).

روى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى".

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة".

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط"(١).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وماعليه خطيئة"(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب: العالم الذى يعمل بعلمه، ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات، والشهيد الذى قتل فى المعركة لاعلاء كلمة الاسلام، والسخى الذى اكتسب مالا من الحلال وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء، فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد ونقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره".

وقال صلى الله عليه وسلم: " السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة".

وعن جابر رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل؟

قال: " الصبر والسماحة".

روى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال: قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال: " ان من موجبات المغفرة بذل الطعام، وإفشاء السلام، وحسن الكلام".

---

(١) رواه الترمذى. وقال: حديث حسن.

(٢) رواه الترمذى: وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم عن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال صلى الله عليه وسلم: " من آوى يتيما إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة".

وقال صلى الله عليه وسلم: " إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل: ياملائكتى من أبكى هذا الصبى الذى غيبت أباه فى التراب".

روى البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا وكافل اليتيم (١) فى الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: " أنا أول من يفتح باب الجنة إلا انى أرى امرأة تبادرنى. فأقول: مالك ومن أنت؟ تقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لى" (٢).

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار".

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد كثيرة منها مارواه ابن ماجه:

خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه".

كما روى ابن ماجة أيضا: " الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار".

قال النبى صلى الله عليه وسلم: " اللهم إنى أحرج (٣)حق الضعيفين اليتيم والمرأة""(٤).

عن أبى الدرداء عويمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ابغونى الضعفاء، فإنما تنصرون، وترزقون بضعفائكم"(٥).

وفى إكرام الأرملة واليتامى نتابع معا صديقى القارىء قصة وقعت فى قديم الزمان قد تتكرر على مر الأزمان. .قصة رواها بعض السلف:

كانت هناك أسرة ميسورة الحال.. مات عائلها.. وبقيت زوجته وبناته.. تبدلت الأحوال واشتد بهن الفقر حتى رحلن عن وطنهن خوفا من الشماتة.

وصلن إلى بلد.. دخلن مسجدا.. تركتهن الأم وخرجت.. خرجت تبحث عن القوت.. فمرت

---

(١) كافل اليتيم: القائم بأموره.

(٢) رواه أبو يعلى بسند حسن.

(٣) أحرج: ألحق الحرج، وهو الإثم بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا، وأزجر عنه زجرا أكيدا.

(٤) حديث حسن رواه النسائى باسناد جيد. عن أبى شريح خويلد بن عمرو الخزاعى رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث).

(٥) رواه أبو داوود بإسناد جيد.

بكبير البلد وهو مسلم.. شرحت له حالها.. لم يصدقها.. قال: لابد أن تقيمى عندى البينة بذلك.

قالت: أنا غريبة.

فأعرض عنها.

ثم مرت بمجوسى: قصت عليه حكايتها.. رق لها قلبه وصدقها.. أرسل إليها بعض نسائه.. فأتين بها وببناتها إلى داره.. وبالغ فى إكرامهن.

وبعد منتصب الليل رأى المسلم فى منامه أن القيامة قد قامت والنبى صلى الله عليه وسلم معقودا على رأسه لواء الحسن وعنده قصر عظيم.

فقال: يارسول الله لمن هذا القصر؟

قال عليه الصلاة والسلام: لرجل مسلم.

قال الرجل: أنا مسلم موحد.

قال صلى الله عليه وسلم: أقم عندى البينة بذلك.

تحير الرجل. فقص له صلى الله عليه وسلم خبر الأرملة، فانتبه الرجل وهو فى غاية الندم إذ ردها.

ولما استيقظ من نومه أخذ يبحث عنها جاهدا حتى علم أنها بدار المجوسى. ذهب إليه وطلبها منه.. لكن المجوسى أبى وقال: لقد لحقنى من بركاتهن الكثير.

قال المسلم: خذ ألف دينار وسلمهن إلىّ.

رفض المجوسى: أراد المسلم أن يكرهه على ذلك.

فرد عليه المجوسى: الذى تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى، أتفخر علىّ بإسلامك؟ فو الله مانمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد الأرملة وقد رأيت مثل منامك.

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأرملة وبناتها عندك.

قلت: نعم يارسول الله.

قال: القصر لك ولأهل دارك.

فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة والندم مالا يعلمه إلا الله تعالى.

فى تكريم الفقراء المهاجرين الذين يتقون الله ويتوكلون عليه حق التوكل ويصبرون على الفقر والغربة والمهانة ابتغاء وجه ربهم .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟" قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: "أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لايستطيع لها قضاء. فيقول الله تعالي لمن يشاء من

ملائكته: إئتونى فحيوهم.

فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء ونسلم عليهم؟

فيقول: إنهم كانوا عبادا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لايستطيع لها قضاء.

قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب"(١)

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)(٢).

روى الحسين بن على رضوان الله عليهما قال: قال لى جدى صلى الله عليه وسلم: " يا بنى عليك بالقناعة تكن أغنى الناس وأد الفرائض تكن أعبد الناس، يابنى إن فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا وقرأ صلى الله عليه وسلم"(٣) (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (٤)

خلاصة القول فيمن يدخلون الجنة .. بغير حساب..

لايدخل الجنة قبل الحساب كل العلماء والشهداء.. أو كل المتحابين فى الله دون غرض دنيوى.. لا يدخل الجنة بغير حساب كل من فقد بصره أو مات ابنه.. أو كل ابن بار بوالديه أو امرأة مطيعة لزوجها.

أولئك وغيرهم لايدخلون الجنة بغير حساب إلا إذا توافرت فيهم سائر الصفات التى يجب توافرها فيمن يدخلون الجنة قبل الحساب.

ـ يدخل الجنة بغير حساب المؤمنون الصابرون.. الحمادون.. الذين لايتطيرون.. . فلا يتشاءمون ولا يتفاءلون لأسباب واهية.. بل على ربهم يتوكلون.

إن التوكل على الله لايعنى العجز الناتج عن الجبن والكسل.. لايعنى الضعف والتفريط فى الحقوق.. إنما يعنى السعى والدفاع عن الحق.. الاجتهاد والحركة الدائمة بما يرضى الله.. إن التوكل على الله هو التقوى والقوة.. هو الإيمان الراسخ بقضاء الله وقدره.. هو اليقين التام بقدرة الله تعالى التى لاحدود لها.

إن لم يتحقق مراد المؤمن بعد أخذه بالأسباب فإنه يصبر .. بل ويرضى بما كتبه الله له.. يقول وهو على يقين تام بأن الله تعالى وحده هو القادر على كشف الضر عنه.. يقول بقلب مطمئن:

---

(١) قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبدالرحمن حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنا معروف ابن سويد الحرانى عن أبى عشانة الغافرى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الحديث.

(٢) الرعد ـ ٢٤... عقبى الدار: عاقبتها المحمودة، وهى الجنات (٣) ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق.

(٤) الزمر ـ جزء من آية ١٠.

حسبى الله ونعم الوكيل.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

حينئذ تقع الكلمة فى موقعها الصحيح وتأتى بنتيجة مضمونة العواقب مثلما فعل أبو الأنبياء.. إبراهيم عليه الصلاة والسلام.. أخذ بكل الأسباب الممكنة.. لم يتقاعس لحظة.. لم يعجز أمام جبروت الملك النمروذ.. ولما نفذت كل الأسباب.. وغلبه الخصم.. ألقاه فى النار.. فلم يعد له حول ولا قوة.. إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. رضى ابراهيم بقضاء الله وقدره.. وقال بقلب مطمئن واثق بقدرة الله العظيم: (حسبى الله ونعم الوكيل).. عندئذ كانت الكلمة فى مكانها الصحيح.. فكان الله حسبه ودفع عنه الضر.. أمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم.. فلم تضره شيئا.

إن التوكل على الله لايعنى الإلقاء بالنفس إلى التهلكة.. بل يعنى الحذر والتريث والأخذ بالأسباب بتعقل وحكمة.

عن أبى إبراهيم عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو، انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: " يا أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم: " اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم"(١).

إن التوكل على الله هو معرفة الله حق المعرفة واليقين التام بقدرته التى لاتحدها حدود.. هو الثقة الكاملة والإيمان الراسخ بأن قضاءه وقدره خير فى حقيقتة حتى ولو كان شرا فى ظاهره.

إن التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه وحده وحسن الظن به عز وجل مع الأخذ بالأسباب ثم التسليم بقضائه وقدره والرضى بحكمه سبحانه وتعالى.

وكانت قصة أم موسى عليه السلام مثالا رائعا فى التوكل على الله.. فحينما تجبر فرعون وأمر بتذبيح ذكور بنى اسرائيل عند ولادتهم.. لم تعد لها حيلة لانقاذ وليدها.. ووقفت حائرة .. عاجزة عن حمايته.. لكنها لم تستسلم لأمر الطاغية الجبار.. لم تستسلم لأمر فرعون.. وأوحى الله إليها أن ترضع وليدها ثم تلقيه فى البحر.. وفعلت أم موسى .. لم تجد الأمان لرضيعها وهو فى صدرها وتحت عينيها.. ووجدته فى أمواج البحر.. تحت رعاية الله سبحانه وتعالى.. أخذت بالأسباب.. فأرضعته ووضعته فى تابوت.. فوضت أمرها إلى الله بكل ثقة ويقين.. ثم ألقت وليدها فى البحر بقلب مطمئن وإيمان راسخ.. لم يقف سعيها عند ذلك الحد.. بل استمرت فى

(١) متفق عليه وبالله التوفيق.

الأخذ بالأسباب فأرسلت أخته تتتبع أخباره.. وتوالت الأحداث حتى عاد إليها وليدها لتضمه إلى صدرها وتحنو عليه وترضعه.

(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين((١).

إن التوكل على الله قوة مضمونة للمتوكل.. قوة مضمونة فى الدنيا والآخر.

(.. ومن يتق الله يجعل له مخرجا،، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا"(٢).

(ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)(٣).

ـ هناك شرط آخر أساسى يجب توافره فيمن يدخل الجنة بغير حساب وهو ألا يكون عليه مظلمة لعبد من عباد الله على الاطلاق.لم يظلم مخلوقا سواء بموقف أو بكلمة أو بأية وسيلة أخرى.

ـ ليس هذا فقط بل يجب أيضا ألا تكون هناك خصومة بين من يدخل الجنة بغير حساب وبين أخيه .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا".

وروى البخارى عن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام".

إن من يدخل الجنة بغير حساب يتمتع بقدر وافر من الشفافية.

نفسه صافية مطمئنة لا تحتمل كراهية أو سوءا لأحد على الإطلاق.

ـ لا يدخل الجنة بغير حساب إلا من تخلص من خطاياه وذنوبه قبل الحساب.. فليس هناك

---

(١) القصص ـ ٧. (٢) الطلاق ـ جزء من آية ٢ : ٣. مخرجا: من كل شدة وضيق وبلاء. لايحتسب: لايخطر بباله ولا يكون فى حسابه.. فهو حسبه: كافية ما أهمه فى جميع أموره. عندما يكون الرب وكيلا للعبد فإنه كالفه وقائم بأموره ومصالحه لأنه ينوب عنه فى تصرفاته. ... قدرا: أجلا ينتهى إليه أو تقديرا أزلا.

(٣) البقرة ـ ١٥٥ : ١٥٧ . لنبلونكم: لنختبرنكم ونحن أعلم بأموركم.

صلوات من ربهم : ثناء أو مغفرة منه تعالى.

عبد سواء من الإنس أو من الجان إلا وكانت له ذنوب حتى ولو كانت ذنوبا صغيرة.. والصبر على البلاء بأشكاله المختلفة فى الدنيا يطهر العبد من الذنوب أو يرفع درجاته إلى تلك المكانة العليا حتى يستحق دخول الجنة بلا حساب.

(.. إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (١).

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم)(٢).

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)(٣).

قلما ماندر وجود من تجتمع فيه كل هذه الأخلاق الحميدة وبالرغم من ذلك فإن تواجده واقع متكرر فى مختلف العصور.

قد يدخل المؤمن الجنة قبل الحساب.. وقد يدخلها بعد حساب يسير.. أو بعد حساب عسير.. ويتوقف ذلك على درجة الإيمان.. أما العصاة وأهل الكبار من الموحدين الذين لم يتخلصوا من ذنوبهم بعد فإنهم يدخلون النار أولا بعد حساب عسير حتى تطهرهم من دنس ذنوبهم ثم يدخلون الجنة.

إن القضية ليست قضية مؤمن وكافر.. بل إن الإيمان درجات.. والكفر أيضا درجات.. كذلك الثواب والعقاب درجات.. ومن أسماء الله الحسنى: الرحمن الرحيم.. الحكم العدل.. الجبار القهار.. جل جلاله وتقدست أسماؤه.

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) (٤).

يوم يدعون إلى نار جهنم دعا، هذه النار التى كنتم بها تكذبون، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون، أصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ماكنتم تعملون)(٥).

دخول النار بغير حساب

يسود ظلام حالك.. يتصاعد دخان كثيف.. صهد شديد.. تدب الحياة فى السعير.. تصدر أصواتا مخيفة مروعة.. يزداد زفير جهنم.. تعلو وتثور.. تشهق وتفور.. تشتد غيظا.. تشتاط غضبا لغضب ربها عز وجل.. إنها لا تزال فى حالة تأهب واستعداد.. تحفز وتوعد.

ويصدر أمر الملك الجبار جل جلاله.. يصدر أمر الله.

ينادى على آدم: يا آدم : أخرج من ذريتك من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

يعم الفزع والرعب.. تذهل العقول.. تبلغ القلوب الحناجر.. ترتعد الفرائص.. تتزلزل

---

(١) الزمر ـ جزء من آية ١٠. (٢) محمد ـ ٣١. لنبلونكم : لنختبرنكم بالتكاليف الشاقة. نبلوا أخباركم: نظهرها ونكشفها. (٣) الشورى ـ ٤٣. (٤) الفاتحة ـ ١: ٤.

(٥) الطور ـ ١٣ : ١٦ يدعون: يدفعون بعنف وشدة. أصلوها: ادخلوها. أو قاسوا حرها..

الأقدام.. يظن كل إنس وكل جنى أنه هالك لا محالة.. لكن عدالة الله .. بل رحمته سبحانه وتعالى لا تقتضى ذلك.

ويخرج من النار عنق أسود ..يزفر إلى الخلائق.. ينقض نحو المجرمين الظالمين.. نحو أهل الفسق والضلال.. ينقض نحوهم متسعرا ويقول: وكلت بثلاثة: وكلت بمن دعا مع الله إلها آخر.. وكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب.. وكلت بكل جبار عنيد.

(بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا)(١).

وتنتشر الملائكة بالسلاسل والقيود.. تسرع نحو الكفرة.. الفجرة.. نحو إبليس.. يأجوج ومأجوج وأمثالهم من شياطين الإنس والجان.. أمثالهم من الجبابرة الذين لم تكن لهم حسنة فى حياتهم قط.. يحاولون الهرب.. تخونهم أقدامهم.. تخونهم جوارحهم وتتلقاهم الملائكة بغلظة.. بعنف وقسوة تتناسب مع طبيعتهم.

تجمع الملائكة أيديهم ورقابهم إلى أرجلهم وتقيدهم بالسلاسل والأغلال.

(يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام، فبأى آلاء ربكما تكذبان، هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن، فبأى آلاء ربكما تكذبان)(٢).

وينقض عليهم عنق النار الأسود.. يتشعب .. يحيط بهم من كل الجهات.. يلتقطهم كما يلتقط الطير الحب.. ينطوى عليهم ويلقيهم فى النار.. تطير الألباب.. ترتعد الأبدان.. وتتعالى الصرخات.. يستنجدون.. ينادون بالويل والثبور.. فلا من سميع لهم ولا من مجيب.. وتبتلعهم نار الجحيم.. ويخرج النداء: شقاوة لا سعادة بعدها أبدا.

(وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنا لك ثبورا، لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا)(٣).

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى ياثبوراه، وينادى ياثبورهم. حتى يقفوا على النار فيقول: ياثبوراه. فيقال لهم

---

(١) الفرقان ـ ١١ ـ ١٢ سعيرا: نارا عظيمة شديدة الاشتعال. . تغيظا: صوت غليان كصوت المتغيظ. زفيرا: صوتا شديدا كصوت الزافر.

(٢) الرحمن ـ ٤١ :٤٥. سيماه الكفار: سواد وجوههم وزرقة عيونهم.

فيؤخذ بالنواصى والأقدام: تجمع الجباة إلى الأقدام. وهو مشهد مهين والعياذ بالله.

حميم آن: ماء حار تناهى حره. يطوفون بينها وبين حميم آن: يتراوحون بين جهنم وبين هذا السائل الحار. والخطاب فى الآيات الكريمة موجه إلى الإنس والجن.

(٣) الفرقان ـ ١٣ : ١٤ . مقرنين: مقرونة أيديهم إلى أعناقهم إلى أرجلهم بالأغلال.

فيقولون: ياثبورهم لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا. وادعوا ثبورا كثيرا"(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار. فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك يارب، ومابعث النار؟

فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.

قال: فيومئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

قال: فيقولون" فأين ذلك الواحد؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد.

فقال الناس: الله أكبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ والله إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. قال : فكبر الناس. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما أنتم فى الناس إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض"(٢).

قالت عائشة: قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟

قال: " ياعائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق:

وكلت بثلاثة.. وكلت بثلاثة.. وكلت بثلاثة: وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد. قال: " فينطوى عليهم ويرميهم فى غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله، والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح. وكأجاويد الخيل والركاب. والملائكة يقولون: يارب سلم سلم.

---

(١) روى الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن على بن يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الحديث). لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، ورواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به.

(٢) قال الإمام أحمد ثنا وكيع عن الأعمش عن ابى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث). ورواه البخارى عن عمر بن حفص عن غياث عن أبيه عن الأعمش به. ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع به. وأخرجاه من طرق آخر عن الأعمش به.

يأجوج ومأجوج: أممان من البشر.. كفرة فجرة.. مفسدون فى الأرض.. وأعدادهم هائلة.

فناج مسلم ومخدوش مسلم، ومكور فى النار على وجهه"(١).

يدخل النار قبل الحساب كل كافر متكبر.. طغى وتجبر.. عاث فى الأرض فسادا.. ارتكب أفظع الجرائم.. نفسه أمارة بالسوء.. لايحتويها إلا الشر.. الشر فى أبشع صوره.. لم يعمل خيرا فى مخلوق.. بل ظلم الناس ظلما فادحا.. عذبهم.. هدم ديارهم.. وجعل حياتهم جحيما.. ولو عاد إلى الدنيا بعد شدة معاناته فى نار جهنم لما اتعظ.. ولعاد إلى جرائمه.

روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس فى الدنيا" (٢).

قال صلى الله عليه وسلم: "بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى".

وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال: " أليس بعده موت!".

قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء".

وقال صلى الله عليه وسلم: " من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول".

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير.

وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر.

وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر.

قال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم: " يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى".

إن الله تعالى أحن على خلقه من الأم على وليدها.. فإذا كان الله شاكرا لخلقه! إيمانهم

---

(١) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحديث).

(٢) خرجه البخارى فى التاريخ فقال: حدثنا على، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلا من أهل الأرمن فكلمه خالد بن الوليد، فقالوا: أغضبت الأمير؟ فقال: لم أرد غضبه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: (الحديث).وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس ، فقال: ماشأنهم ؟ قالوا: حبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا".

واهتدائهم إلى الصراط المستقيم.. مهديا إياهم أعظم الثواب والتكريم.. فما بال المخلوق؟! أيكفر ويجحد !! يتكبر ويطغى؟!

لايعذب الله خلقه رغبة فى تعذيبهم.. أو إظهارا لنفوذ أو سلطان.. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.. إنما يعذبهم جزاء لكفرهم وجحودهم .. جزاء لطغيانهم وجبروتهم.

(مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما" (١).

من رحمة الله بعباده أنه لم يكتف بأخذ العهد على ذرية آدم فى قديم الأزل .. لم يعذبهم إلا بعد أن يبعث فيهم الرسل مذكرين ومنذرين.. ومن لم يهتد بعد ذلك حق عليه العذاب.

(من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا"(٢).

يدخل الجنة بغير حساب المؤمن الذى لم يفعل فى حياته شرا قط.. الذى لم يعمل فى حياته إلا الخير.. المؤمن الذى لاقى أهوال الدنيا.. تحمل المصائب والبلايا ثم حمد.. وصبر واحتسب.

يلقى فى النار بغير حساب الكافر الذى لم يفعل فى حياته خيرا قط.. الذى لم يرتكب فى حياته إلا أشد الجرائم.. الكافر الذى صنع أهوال الدنيا بنفسه.. حرص على انتشار الشر والظلم والفساد فى الأرض.

وفيما عدا ذلك فإن الإيمان درجات والكفر درجات.. والإنسان سواء كان موحدا أو كافرا فله حسنات وعليه سيئات..

الله سبحانه وتعالى حكم عدل لايظلم أحدا.. فأين سيئات المؤمن؟ وأين حسنات الكافر؟

يجازى الله المؤمن بحسناته خيرا فى الدنيا والآخرة.. ويجازى الكافر بحسناته خيرا فى الدنيا فقط حتى يأتى فى الآخرة لا حسنة له فيقذف فى النار.. والنار درجات تتفق مع درجات السيئات.

يمحى الله سيئات المؤمن بالمصائب التى يبتليه بها فى الدنيا.

إن صبر وشكر فهو قوى الإيمان.. فتمحى سيئاته ويدخل الجنة.. وقد يخلص الله سيئات المسلمين فى التشديد عليهم عند الموت أو فى عذاب البرزخ.. وقد يكفر الموحدون عن سيئاتهم فى ملاقاتهم لأهوال يوم القيامة.. ويدخل النار العصاة وأهل الكبائر من الموحدين حتى يتطهروا تماما من دنس ذنوبهم ثم يدخلون الجنة.

أما سيئات الكافر فإن الله يجازيه بها شرا فى الدنيا والآخرة.

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له

---

(١) النساء ـ ١٤٧ (٢) الإسراء ـ ١٥.

حسناته فى الآخرة، ويعقبه رزقا فى الدنيا على طاعته".

وفى رواية رواها مسلم: " إن الله لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ماعمل لله تعالى فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها".

﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعى رءوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ (١)

---

(١) ابراهيم ـ ٤٢ ـ : ٤٤.

تشخص فيه الأبصار: ترتفع دون أن تطرف من الهول.

مهطعين: مسرعين إلى الداعى بذلة.

مقنعى رءوسهم: رافعيها مديمى النظر للأمام.

أفئدتهم هواء: قلوبهم خالية لاتعى لفرط الحيرة والخوف والوجل.

أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال: أو لم تكونوا تحلفون من قبل أنه لازوال لكم عما انتم فيه وأنه لا معاد ولا جزاء؟ مالكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة؟ فذوقوا العذاب.

﴿ وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾(١)

صدق الله العظيم

---

(١) ص ـ ٢٧ ـ ٢٩.

المراجع

اسم الكتاب	الكاتب	الناشر
	ابن كثير	المكتبة التجارية
ـ تفسير القرآن العظيم	سيد قطب	دار الشروق
ـ فى ظلال القرآن	محمد فؤاد عبدالباقى	دار الريان للتراث
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن		
الكريم	الامام الحافظ احمد بن على	دار الريان للتراث
ـ فتح البارى بشرح صحيح	بن حجر العسقلانى	
البخارى	الامام النووى	دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان
ـ رياض الصالحين	الحافظ بن كثير ـ تحقيق	المكتبة القيمة
ـ نهاية البداية والنهاية	اسماعيل بن محمد	
	الانصارى	
	القرطبى	المكتبة التوفيقية
ـ التذكرة فى أحوال الموتى وأمور		
الآخرة	الامام ابو حامد محمد بن	دار الريان للتراث
ـ احياء علوم الدين	محمد الغزالى	
	الامام ابو حامد محمد بن	المكتبة التوفيقية.
ـ مكاشفة القلوب المقرب إلى	محمد الغزالى	
حضرة علام الغيوب	ابن قيم الجوزية	دار الحديث
ـ مدارج السالكين بين منازل اياك		
نعبد واياك نستعين.	ابن قيم الجوزية	المطبعة المصرية ومكتبتها
ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد	ابو محمد عبدالملك بن هشام	دار الهداية
ـ سيرة النبى	ابن الاثير	دار الكتاب العربى ـ بيروت
ـ الكامل فى التاريخ	خالد محمد خالد	دار ثابت ـ دار الريان للتراث
ـ رجال حول الرسول	محمد متولى الشعراوى	مؤسسة أخبار اليوم

كتب للكاتبة

حكايات سورة الكهف

(للناس عامة من عمر ١٠ سنوات الى ماشاء الله)

(أهل الكهف ـ صاحب الجنتين ـ موسى والعبد الصالح ـ يأجوج ومأجوج وذى القرنين)

ـ من قصص القرآن:

وتشمل قصص : (عزير وحماره.. مملكة سليمان.. يونس فى بطن الحوت)

ـ سلسلة بعنوان: رحلة إلى عالم الخلود

تتكون من ٦ أجزاء.. كل جزء مستقل بذاته تماما.

١ـ رحلة مع الروح فى العالم الآخر (مختصر الروح)

٢ـ علامات الساعة الصغرى والكبرى.

٣ ـ عدالة يوم القيامة.

٤ ـ ظلال الرحمة يوم الفزع الأعظم

٥ ـ أحداث يوم القيامة بإذن الله. (تحت الطبع).

٦ـ دار الجزاء (الجنة والنار) ان شاء الله (تحت الطبع)

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

رقم الايداع ٩٥/ ٧٩٠٥
977-220-111-9

دار النصر للطباعة الاسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١